

مكتبة الكتب المسيحية

الموقع القديم

http://coptic-books.blogspot.com

الموقع الجديد :

http://www.christianlib.com

انضم لجروب ماذا تقرأ هذه الأيام (النسخة المسيحية) ؟

https://www.facebook.com/groups/530822643657367

انضم لصفحة : مكتبة الكتب المسيحية :

https://www.facebook.com/copticbooks4u/



شرح رسالة القدّيس يوحنّا الأولى للقدّيس أغوسطينوس

نقلها الى العربيّة
الخوري يوحنّا الحلو

دار المشرق - بيروت

شرح رسالة القدّيس يوحنّا الأولى
للقدّيس أغوسطينوس



شرح رسالة القدّيس يوحنّا الأولى

للقدّيس أغوسطينوس

نقلها الى العربيّة
الخوري يوحنّا الحلو

الطبعة الرابعة

دار المشرق - بيروت

لا مانع من طبعه

الخوري مارون شاهين

المراقب المفوَّض

فليطبع

الحقير

أنطونيوس خريش

مطران صيدا

بيت الدين في ٢٦/٨/٦٦

دار المشرق ش.م.م.

ص.ب. ٩٤٦ - ١١

رياض الصلح، بيروت ٢٠٦٠ ١١٠٧

لبنان

http://www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-4947-8

التوزيع : **المكتبة الشرقيَّة**

الجسر الواطي - سنّ الفيل

ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

تلفون: ٤٩٢١١٢ - ٥/٤/٤٨٥٧٩٣ (٠١)

فاكس: ٤٨٥٧٩٦ (٠١)

Email: libor@cyberia.net.lb

الغلاف : **جان قرطباوي**

مقدّمة

ايها القارئ العزيز

آليت على نفسي ، منذ ما تعرّفت إلى القديس اغوسطينوس ، من خلال اعترافاته ، ان انقل الى قراء لغة الضاد ما تصل اليه يدي من مؤلفاته ، يقيناً مني بأن حاجة مكتبتنا العربية الروحية اليها ماسّة ؛ وافتقارها الى روائعه يحرم ملايين البشر من غذاء يستسيغه القلب والعقل معاً ؛ لا سيّما والعالم العربي بدأ يتفتح على مختلف الثقافات ، في عصرٍ ، غدت الكلمة سلاحاً ، للفتح والسيطرة على جماهير الناس ، اقوى من صاروخٍ عابرٍ للقارات وقنبلة ، ذكرها كاف لالقاء الرعب والذعر في ابناء بلد بأسره . ذلك ، لأن هذه تدمّرٍ ولا تبني ، وتباعد بين الاخوة ؛ وتلك تشيد للمعرفة صروحاً شاهقة ؛ وتفتح امام الانسان ابواب المجهول من عالم النجـوم والكواكب ، وترشد الى الخير ، وتقرّب بين المتخاصمين ، هازئة بالأبعاد ، وان تنوّعـتْ ، عابثة بكل ما اقام الناس بينهم مـن فوارق عارضة ، تذابحوا من اجلها فوق شبرٍ من الأرض ، هنا وهناك ، ولا يزالون . وكلّما كانت تزخر الكلمة بالايمان والمحبة كلّما

كانت قوية وفعّالة كالتي لأغوسطينوس، فهي تجمع بين متناقضين وتقرّب من الله ابعد الناس عنه .

هذا ما حداني على نقل هذا الكتاب اليك، رغبةً في ان اجعله في متناول يدك، لتقطف من شهيّ ثماره ما لذ لك وطاب، وتعيش في جوه العابق بأريج العلم والفضيلة والنور .

وهو مجموعة من عشر مواعظ ، القاها القديس اغوسطينوس على ابناء ابرشيته بدافع من المحبة والغيرة الرسولية ، شارحاً رسالة القديس يوحنا الاولى بمناسبة فصح سنة ٤١٥ ، ايماناً منه بان الدعوة الى الخير هي من صميم رسالته ، كراعٍ ، وقف نفسه على خدمة ربه وقريبه؛ وبان التحذير من الاثم واجب من اقدس واجباته الراعوية .

وانك لتعرف من خلال كل موعظة ان الست الاولى قد القيت على مدى ستة ايام متعاقبة من اسبوع الفصح . اما الاربع الأخرى فقد جاءت في مناسبات لاحقة من زمن الفصح وقد يكون ذلك في السبوت والاحاد التالية وفقاً للاحتفالات المرعية .

امّا وقد عرفنا المكان والزمان اللذين قيلت فيهما هذه المواعظ فلا بدّ من ان نقول كلمة عن غاية يوحنا من هذه الرسالة: كان يهدف يوحنا الى تثقيف المؤمنين وحثهم على ادراك السرّ الذي منه يعيشون : وهو ان الله نورٌ ومحبة : فعلى كل من اراد ان يشترك بالنور ان يكف عن المعاصي ويحفظ الوصايا ويحتقر العالم ويقاوم الشيطان واعوانه . واشتراكه بالمحبة يتّسم بالصفات عينها. لأنّا حين نصير ابناء الله، نقتديه، منذ الحياة الحاضرة، كسباً لرضاه في دنيا زائلة، وعربوناً اكيداً لسعادة خالدة .

ويتخذ القديس اغوسطينوس هاتين الفكرتين : الله ظهر نوراً والله ظهر محبة اساساً لمواعظه؛ فلا يكتفي بشرحهما باسلوب تجريدي صرف بل يسعى الى تطبيقهما على الواقع المسيحي ، منطلقاً من التجسد ، سرًا وواقعاً ، الى ما وصل اليه المسيحيون في ذاك العصر من حياة روحية قلقة ونفسية مضطربة ؛ ناهيك عن الخلاف الذي اخذ يذر قرنه فيما بينهم بسبب الضلال الذي ادخلته الى صفوفهم البدع المختلفة ، التي عصفت بالكنيسة الافريقية ؛ فباعدت بين الأخ واخيه وشتّتتْ شمل العائلة الواحدة وعرّضتها الى التقاتل والتفكك الروحي والاجتماعي .

اجل ، انطلاقاً من هذا الواقع المرير الذي عاشه ، دعا اغوسطينوس مستمعيه ، الى اعتناق الحق وحده ، والابتعاد عمّن سمّاهم مسحاء كذبة لأنهم ليسوا منهم وان عاشوا بينهم ؛ وحثهم على التمرس بالمحبة تجاه الجميع لأن المحبة وحدها تضمن اعادة السلام الى كنيسة المسيح وبخاصة حين يجمع المؤمن في حياته اليومية بين أصالة الايمان الصافي ووداعة المحبة المجانية .

والايمان ليس كلاماً ؛ كما ان المحبة ليست عواطف ومظاهرَ. ولا يمكنهما ان يكونا صادقين وسليمين إلاّ اذا تآخيا في الحياة الواقعية اليومية . لأنه من غير الممكن على المسيحي ان يؤمن بشيء ثم يحيا بعكسه ويظل مسيحياً . وبالتالي فكل من آمن بان الله نور ومحبة نفى من قلبه ظلام الخطيئة واحلّ فيه النور وادرك مدى مجانية الحب الالهي ، عاملاً ، برغم ضعفه ، على تجسيد هذا النور وهذه المحبة في كل ما يأتيه من اعمال .

الخوري يوحنا الحلو

التجسد | المقالة الأولى

١ — « ما كان من البدء ، ما سمعناه وما ابصرناه بعيوننا وما لمسته ايدينا من كلمة الحياة »[1] ومن يستطيع ان يلمس الكلمة بيديه لولا ان « الكلمة صار بشرًا وحلّ فينا » ؟[2] الكلمة الذي صار بشرًا لتلمسه الايدي ، بدأ فصار بشرًا في حشاء مريم العذراء ولم يبدأ ليصير كلمة آنذاك لانه كما قال يوحنا « من البدء هو » تأملوا كيف ان رسالته تشهد لانجيله القائل : « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله »[3] قد يحاول بعضهم ان يشرح لفظة « كلمة الحياة » وكأنها تعبير غامض عن المسيح وعن جسم المسيح عينه الذي لمسته الايدي . اسمعوا ما جاء بعدئذ : « الحياة عينها قد ظهرت » فالمسيح اذًا هو كلمة الحياة وكيف ذلك ؟ من البدء كان ؛ انما لم يظهر للناس بل للملائكة ، وهؤلاء رأوه واغتذوا منه

---

١) يو ١ : ١ .

٢) يو ١ : ١٤ .

٣) يو ١ : ١

وكأنهم من الخبز يغتذون. وماذا يقول الكتاب المقدس؟: «أكل الانسان خبز الملائكة»[1] فتجلّت الحياة نفسها بشرًا، نورًا للبصر وشفاء للقلوب؛ وانكشفت وضّاحة لتصير حقيقةً للبصيرة، مرئية للبصر. حقاً البصيرة وحدها تبصر الكلمة واما الجسد فلا يبصر ولا تبصر عيناه. لقد كنا قادرين ان نرى البشر وعاجزين عن رؤية الكلمة فصار الكلمة بشرًا لنراه وليشفي فينا ما يؤهلنا لان نبصر الكلمة.

٢ — ورأيناه وكنا له شهودًا. بعض اخوة لنا يجهلون اليونانية ولا يعرفون فيها مرادفاً للفظة «شاهد testis باللاتينية» ومن ذا الذي لم يسمع الشهداء؟ وعلى لسان اي مسيحي لا نجد كل يوم اسم شهيد؟ ليت الله يقيم هذا الاسم في قلبنا فنقتدي من الشهداء بثباتهم ونتخذهم لنا قدوة صالحة. قال يوحنا: «ورأيناه وكنا له شهودًا» رأيناه ونحن له شهداء. لقد شهدوا حقاً لما رأوا؛ وشهدوا لما سمعوا من افواه من رأوا؛ فتحملوا عذاب الشهداء، لان اقوالهم لم تَرُقْ اولئك الذين وجّهت اليهم، فكان شهودُ الله شهداءه. لقد اراد الله الناس شهودًا له ليكون بدوره شاهدًا لهم.

قال: «رأيناه وكنا له شهودًا» واين رأوه؟ في تجلّيه. وما معنى تجليه؟ تحت الشمس، في هذا النور المرئي. ومن اين للانسان ان يرى مبدع الشمس تحت الشمس لولا انـه نصب خباءه تحت الشمس، «وكالعروس خرج من حجلته مبتهجاً كالجبار يعدو في السبيل»؟[2] اقدم من الشمس، خالق الشمس، واقدم من نجمة الصبح، واقدم من الكواكب والملائكة! انه الخالق الحقيقي. «به

---

١) مزمور ٧٧: ٢٥

٢) مزمور ١٨: ٦

كل شيء كوّن ؛ ولولاه كل شيء عدم »[١] . ولمّا اراد ان يظهر لعينينا اللحميتين اللتين تريان الشمس ، نصب خباءه تحت الشمس ، اي ظهر بشراً في هذا النور الارضي . حشا العذراء خباؤه ؛ وفيه اجتمع بختن عروسه . الكلمة هو الختن والجسم هو العروس . لانه قيل : « ويكونان كلاهما جسداً واحداً »[٢] . وفي الانجيل يقول السيد : « لهذا لن يكونا اثنين بل جسداً واحداً »[٣] واذا تكلم اشعيا باسم المسيح امتاز في شرح وحدتهما فقال : « كالعروس الذي يتعصّب بالتاج وكالعروس التي تتحلى بزينتها »[٤] وكأن واحداً يقول : « عروساً اقام ذاته ؛ اذ ليسا اثنين بل هما جسدٌ واحدٌ لان الكلمة صار بشراً وحلّ فينا » . الى هذا الجسم انضمّت الكنيسة فكان المسيح كاملاً رأساً وجسماً .

٣ — ثم قال : « وإنّا لذلك شهود ، ولذا نبشركم بالحياة الابدية التي من عند الاب » وفينا ظهرت اي بيننا : وبطريقة جلية أُظهرَتْ لنا . انا نبشركم بما رأينا وسمعنا . اصغوا ايها الاحباء ؛ بما رأينا وسمعنا . نبشركم . لقد رأوا الرب عينه حاضراً بالجسد ؛ ومن فمه سمعوا كلامه ؛ وبه بشرونا . اما نحن فلقد سمعنا ولم نرَ . فهل نحن ، لهذا ، اقلّ سعادةً ممّن رأوا وسمعوا ؟ واذا ، فلماذا يضيف قائلاً : « كي تكونوا انتم ايضاً بنا متحدين ؟ » لقد رأوا اما نحن فلم نرَ ، ومع ذلك فانا معهم متحدون ، لانا نؤمن الايمان عينه . تلميذٌ واحدٌ رأى ولم يؤمن واراد ان يلمس بيديه قبل ان يؤمن فقال : « لن اومن قبل ان

---

١) يو ١ : ٣

٢) سفر التكوين ٢ : ٢٤

٣) متى ١٩ : ٦

٤) اشعيا ٦١ : ١٠

اجعل اصبعي في موضع المسامير»[1] والمس جراحه. فسمح للبشر ان يلمسوه، وهو الذي اصبح قبلة انظار الملائكة فلمسه التلميذ وهتف قائلاً: «ربي والهي» لمس الانسان فاعترف بالله. ولكي نتعزى نحن الذين لا نستطيع ان نلمس ذلك الجالس في السماء، بايدينا، بل بايماننا، قال الرب لتلاميذه: «آمنت لانك رأيت، ولكن طوبى لمن لا يروني ويؤمنون» عنّا يتكلم وايانا يعني بقوله هذا. فيا ليت هذه الطوبى الموعود بها تتحقق فينا. فلنتمسك جيداً بما لا نرى لان من رأوا، به بشرونا، لتصبحوا انتم ايضاً حسب قول بعضنا متحدين. وهل من عجب في ان نكون متحدين مع ناس؟ اياكم ان تستهينوا بالموضوع وانتبهوا الى ما يضيف قائلاً: «لتكن شركتنا مع الله والابن يسوع المسيح وبهذا نكتب اليكم ليتمّ فرحُكم.» انه يضع هذا الفرح التام في الشركة والمحبة والوحدة.

الله نور وبامكاننا ان نتحد به

أ – الشرط الاول، الاقرار بأننا خطأة

٤ – واليكم ما سمعناه منه؛ وبه نبشركم. ما هو؟ لقد رأوا، وبايديهم لمسوا كلمة الحياة لان ابن الله الوحيد، الكائن منذ البدء، قد جعل ذاته، لزمنٍ، منظوراً وملموساً. وما الغاية من مجيئه؟ وايّ جديد حمل الينا؟ وماذا اراد ان يعلمنا؟ ولمَ عمل ما عمل فصار الكلمة بشراً، يقبلُ الصفع من الايدي التي خلقها؟ وماذا اراد ان يعلّمنا ويبيّن لنا؟ وايّ بشرى احب ان يحمل الينا؟ فلنصغ لأن رواية الاحداث كولادة المسيح وآلامه بدون ثمرة التعليم

---

١) راجع يوحنا ٢٠: ٢٥–٢٩

تسلّي العقل ولا تقويه. وبأي سر عظيم سمعتم؟ وما هي الغاية منه؟ اصغوا. وماذا يعلمكم؟ واي بشرى يحمل اليكم؟ اسمعوا، قال يوحنـــا: «الله نور ولا ظلام فيه». يبدو جلياً انه يتكلم عن النور انما الكلام غامض. ليت النور الذي تكلم عنه ينير قلوبنا ويجعلنا ندرك ما يقول. اليكم ما نبشركم به «ان الله نور ولا ظلام فيه». ومن ذا يجرؤ ان يقول ان في الله ظلاماً؟ ومن ذا يجرؤ ان يسأل، ما هو هذا النور؟ وما هي تلك الظلمة؟ يخشى على صاحب تلك الاسئلة من ان ينسى ما يختص بعيوننا اللحمية. وقد يقول انسان معترضاً على هذا الكلام: «الله نور» بأن الشمس نور والقمر نور والمصباح نور ايضاً. لذلك وجب ان يكون نور يفوق هذه الانوار عظمة وبهاء ونوعاً. بقدر ما يسمو الله على مخلوقاته والصانع على صنيعه والحكمة على اعمالها بقدر ذلك يسمو هذا النور على شتى الانوار الباقيـــة. قد نصبح على مقربة منه ان توصّلنا الى معرفتـــه واستمسكنا به لنفيد من نوره. انا ظلمة في نفوسنا ولكن متى استنرنا بنوره نقدر ان نصير نوراً ولا يعود يخجلنا لانا نؤاخذ نفسنا بنفسنا ومن ذا يخجل من نفسه الا الذي يعرف ذاته خاطئاً. ومن ذا الذي لا يخجل من النور سوى الذي بـــه يستنير. وما معنى ان يستنير به؟ ان من يشعر ان ظلام الخطيئة يلفه يتوق الى الاستنارة بهذا النور ويدنو منه. وبهذا المعنى قال صاحب المزامير «ادنوا منه واستنيروا ولا تخز وجوهكم»[1] كلا، لن تخزى وجوهكم امام هذا النور ان اراكم شفاعتكم فكرهتموها وشاهدتم جماله. ذاك ما احب ان يعلمناه.

---

1) مزمور ٣٣ : ٦

٥ — وهل في تفسير فكرته على هذا النحو مغالاة ؟ يوحنا يشرحها فيما يلي واذكروا ما قلنا في بدء حديثنا ان هذه الرسالة هي مديح للمحبة . لقد قال : « الله نور وليس فيه ظلمة البتة » وماذا قال ايضاً ؟ قال : « لتكون لكم ايضاً شركة معنا وشركتنا انما هي مع الله الاب ومع ابنه يسوع المسيح » فان كان الله نوراً وليس فيه ظلمة البتة ووجب ان نشترك معه ، علينا ان نبعد عنا كل ظلمة ليظهر فينا النور ؛ لانـّه لا شركة للظلمة مع النور . أصغ جيداً الى ما يقول بعدئذ : فان قلنا ان لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب » هذا الكلام عينه تجده لدى بولس الرسول القائل : « واية شركة بين النور والظلمة ؟ »[1] تدعي انك تشترك مع الله في حين انك تسلك في الظلام « والله نور وليس فيه ظلمة البتة » فكيف يمكن اذاً ان توحـّد بين النور والظلمة ؟

وليسأل الانسان نفسه قائلاً : ما العمل ؟ وكيف اصبح نوراً ؟ في الاثم والخطيئـــة اعيش وكأن حزناً يائساً يلج الى نفسي ؛ لا خلاص الا بالاتحاد مع الله « الله نور وليس فيه ظلمة البتة » انما الخطايا ظلمة يسيطر عليها الشيطان وملائكته ، وفقاً لقول الرسول بولس : « ولو لم يكونوا للخطأة معلـّمين وللاثمة اسياداً »[2] لما سمّاهم بولس الرسول ارباب الظلمة . وما العمل ايها الاخوة ؟ يجب ان تكون لنا شركة مع الله وهو املنا الوحيد للحياة الابدية « الله نور وليس فيه ظلمة البتة » بيد ان الاثام ظلمة . نرزح تحت اثامنا فنعجز عن الاتحاد بالله . وماذا نرجو ؟ الم اعدكم بكلام مفرح

---

١) بولس ٢. قور ٦ : ١٤

٢) راجع افسس ٦ : ١٢

لهذه الايام ؟ لم اقله لاننا مكتئبون « الله نور وليس فيه ظلمة البتة » وخطايانا ظلمة . فماذا يحل بنا اذاً ؟ .

فلنصغ علنّا نجد تعزيةً لنا في الباقي من الرسالة فنتقوى ونستعيد رجاءنا ونتجنّب السقوط في طريقنا . وانا نركض ؛ ونحو الوطن نركض ، فان يئسنا من الوصول اليه عثرْنا وسقطنا . اما هو فيريدنا في الوطن ، معه . ولهذا يزودنا بالقوت في سفرنا . لنصغ « ان قلنا ان لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولا نعمل الحق » لا نقل ان لنا شركةً معه ، ان سلكنا في الظلمة . ولكن ان سلكْنا في النور كما انه هو في النور نشترك مع بعضنا بعضاً . وماذا نعمل بخطايانا ؟ اسمعوه يقول « ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة ». في كلام الله هذا ضمانة كبرى لنا ، وبحق نحتفل بالفصح حيث اريق دم الرب الذي يطهرنا من كل خطيئة . كونوا واثقين من ان دين العبودية الذي كان للشيطان علينا قد دفعه المسيح بدمه . قيل : « ان دم ابنه يطهرنا من كل خطيئة » وما معنى كل خطيئة ؟ اسمعوا جيداً ، ها ان جميع الذين نسميهم « اطفالاً » قد تطهروا من خطاياهم كلها باسم المسيح ودمه بعد ان اعترفوا به . « عجزًا دخلوا فخرجوا شباناً » وما معنى ذلك ؟ حقاً ان الشيخوخة المريضة هي الحياة القديمة والشباب المتجدد حياة جديدة . وماذا نعمل ؟ الخطايا القديمة تركت لنا ولهم ولكن بعد ترك هذه الخطايا ونحن نعيش في عالمنا الحاضر وفي وسط التجارب قد ارتكبنا سواها ؛ وعليه فليعمل كل انسان ما بوسعه وليعترف حقاً بحالته ليشفيه ذاك التائب دوماً على حاله لانه كان وما يزال ؛ اما نحن فلم نكن ووجدنا .

٦ — تأمَّلوا ما يقول يوحنا: «ان قلنا ان ليس فينا خطيئة فانما نضل انفسنا وليس الحق فينا» اما ان اعترفت انك خاطئ فالحق فيك لان الحق نور. لم تستعد حياتُك كاملَ جمالها لانها خاطئة؛ وها انك تبدأ تصير في النور لانك رحت تعترف بخطاياك. انتبه الى ما يلي: «وان اعترفنا بخطايانا فهو امينٌ عادل فيغفر لنا ويطهرنا من كل اثم، ولا يغفر لنا خطايانا السابقة وحسب بل ايضاً هذه الحاضرة لان الانسان طال ما لا يزال في الجسد فلا يستطيع ان يتجنَّب كل خطأ؛ اقله، الخفيف. اياك ان تعتبر بسيطاً ما كان خفيفاً لان الخفيف وزناً يخيفك ان احصيته. كم من اشياء خفيفة تؤلف جرماً كبيرًا، وكم من نقاط متعددة تؤلف نهرًا وحبات تؤلف كومةً. وماذا نرجو؟ الاعتراف اولاً. لا يظننَّ احد نفسه باراً امام الله الذي يراه كما هو ولا يرفعنَّ احد رأسه متبحجاً لانه لم يكن فكان. الاعتراف اولاً ثم المحبة. وماذا قيل عن المحبة؟ «المحبة تستر خطايا كثيرة».

هيا بنا نرَ ان كان يوحنا يوصينا بالمحبة عينها بشأن الخطايا التي تدخل فينا خلسة لان المحبة وحدها تطفئ الخطايا. الكبرياء تُطفئ المحبة والتواضع يقويها والمحبة تطفئ الخطايا. اساس التواضع اعترافٌ بخطايانا، والتواضع الحقيقي هو ما لا يحملنا على الاعتراف باللسان خوفاً من بعض الناس لنا لانَّا ندعي البرارة. انظروا كيف يتصرف الاثمة والحمقى الذين يفكرون هكذا قائلين: «اعرف اني رجل بار ولكن ماذا يجب ان اقول امام الناس؟ ان ادَّعيتُ البرارة فمن ذا يقبلني ويتحملني؟ ليدرك الله وحده برارتي اما انا فسأقول اني خاطئ لا لكوني خاطئاً بل خوفاً من ان أحمل النـــاس على

بغضي بسبب وقاحتي ». قل للناس من انت وقل لله من انت. وان لم تقل لله من انت فسيشجب الله ما فيك.

ان ابى ان يشجبك الله فاشجب ذاتك. وان شئت ان يغفر لك فاعرف ذاتك كما انت لتقول لله: «أملْ وجهك عن خطاياي»[1] وقل له ايضاً كلمات هذا المزمور عينه «لاني عارف بآثامي»[2].

«وان اعترفنا بخطايانا فهو امين عادل فيغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم. وان قلنا انا لم نخطأ نجعله كاذباً ولا تكون كلمته فينا «ان تقل، لم اخطأ، تجعل الله كذاباً اذ تريد ان تجعل نفسك صادقاً. وهل يمكن ان يكون الله كذاباً والانسان صادقاً بينما يقول الكتاب المقدس: «كل انسان كاذب والله وحده صادق؟ وعليه فالله صادق بنفسه اما انت فبالله صادق لانك بذاتك كاذب».

٧ — ولا تتصورنَّ يوحنا يعد الخطأة بعدم العقاب حين يقول: «الله امين عادل لينقينا من كل اثم» كما لا يحق للناس ان يقولوا من الآن: «فلنخطأ ولنعمل مطمئنين كل ما نريد لان المسيح يطهرنا»، انه عادل امين وهو ينقينا من كل اثم. يوحنا ينزع منك هذه الطمأنينة الكاذبة ويضع فيك خوفاً نافعاً. ان كنت تبحث عن طمأنينة كاذبة فالزم القلق. حقاً ان الله امين عادل يغفر لنا خطايانا اذا شجبت ذاتك وتطورت سعياً وراء الكمال وماذا؟ اني اكتب اليكم هذا يا بنيَّ لئلا تخطأوا؛ وان تسربت الخطيئة اليك في هذه الحياة فماذا يجب عليك ان تعمل؟ نعم، ماذا يجب عليك ان تعمل؟ اتيأس؟ انتبه جيداً، وان خطئ احدكم فلنا شفيع

---

١) مزمور ٥٠ : ١١

٢) مزمور ٥٠ : ٥

عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة عن خطايانا . انه شفيعنا. اياك والخطيئة . ولكن ان تسربت الخطيئة اليك بسبب الضعف الملازم لحياتنا على هذه الارض ، انظر اليها حالاً ؛ وحالاً اندم عليها واشجبها فتأتي مطمئناً الى قاضيك حيث تجد من يدافع عنك. ولا تخف من ان تخسر قضيتك بعد ان تعترف بخطاياك . في هذه الحياة الدنيا قد يلجأ الانسان الى لسان فصيح فيخلصه من الهلاك. اما انت فالجأ الى الكلمة تخلص ؛ والا فاهتف وقل: « لنا شفيع عند الآب » .

٨ — انظروا الى يوحنا في تواضعه ، لقد كان حقاً رجلاً باراً وعظيماً وكان ينهل من قلب الرب ما خفي من الاسرار . اجل ، هو الذي نهل من قلب الرب سر الوهيته ينقل الينا من جديد ذاك الصدى ، « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله »[1] ولم يقل هذا الرجل القديس ، لكم شفيع عند الله بل قال: « ان خطئ احدنا فلنا شفيع » ولم يقل لكم ، ولا قال انا شفيعكم . ولا قال كذلك: « المسيح عينه هو شفيع لكم » انما من جهة قدّم المسيح ولم يقدم ذاته ومن جهة اخرى فقد قال: « لنا شفيع ولم يقل «لكم». ووضع نفسه في مصافّ الخطأة ليكون المسيح شفيعاً له ؛ ومـا نصّب نفسه شفيعاً بدلاً من المسيح لاولئك الذين يتعرّضون بسبب كبريائهم الى الشجب والدينونة .

ايها الاخوة ، ان يسوع المسيح هو البار وهو شفيع لنا لدى الآب وهو كفارة عن خطايانا . وكل من يقبل هذه الحقيقة يتحاشى الهرطقة ولا يقع فيها . وكيف تحدث الانشقاقات ؟ تحدث ممـن

---

١) يوحنا ١ : ١

يقولون ، اننا نقدس الخطأة ونبرر الاثمة ، انا نسأل وننال . اما يوحنا فماذا قال ؟ قال : ان خطئ احدنا فلنا شفيع لدى الله يسوع المسيح البار . ورب انسان يعترض قائلاً : اذاً فالقديسون لا يصلون لاجلنا ؟ والاساقفة ورؤساء الكنيسة الا يصلون من اجل الشعب ؟ ان طالعتم بانتباه الكتب المقدسة وجدتم ان الرؤساء انفسهم في الكنيسة يطلبون صلوات الشعب لان الرسول يقول للمؤمنين « صلوا معاً من اجلنا »[1] الرسول يصلي لاجل الشعب وهذا يصلي من اجل الرسول . انا نصلي من اجلكم ايها الاخوة وانتم صلوا من اجلنا . فليصل جميع الاعضاء من اجل بعضهم بعضاً وليكن الرأس شفيع الكل . ولا عجب من قول يوحنا هذا الذي اسكت به اولئك الذين يمزقون كنيسة الله . « لنا شفيع يسوع المسيح كفارة عن خطايانا » وله قول آخر ضد المنشقين عن الكنيسة المدعين « ان المسيح هنا وهناك »[2] القائلين انه حصر الفداء بفئة « وهو الذي خلص الكل وملك على الكل ، وفي هذا ما يقول : « وهو كفارة عن خطايانا وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله ايضاً » وما معنى هذا القول ، ايها الاخوة الاحباء « قد وجدناه في بقعة الغاب »[3] اي في كل الامم وجدنا الكنيسة . المسيح يكفر عن خطايانا وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله ايضاً ، في العالم كله تجد الكنيسة ، لا تتبع دعاة التبرير الدجالين لانهم دعاة كل تفرقة . « كن على هذا الجبل الذي ملأ العالم

---

١) كولوسي ٤ : ٣

٢) متى ٢٤ : ٢٣

٣) مزمور ١٣١ : ٦

باسره »[1] لان المسيح الذي كفر عن خطايانا وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله ايضاً هو الذي اشتراه بدمه .

حفظ الوصايا ولا سيما المحبة الاخوية .

ب – الشرط الثاني

قال يوحنا: « بهذا نعلم انا قد عرفناه بان نحفظ وصاياه » وما هي هذه الوصايا؟ فمن قال اني قد عرفته ولم يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه . واذا بك تسأل من جديد قائلاً : وما هي هذه الوصايا ؟ من يحفظ كلمته ، يقول يوحنا ، تكمُلُ فيه محبة الله حقاً . لنرى اذا كانت المحبة الوصية المطلوبة . نتساءل عن هذه الوصايا فيقول لنا يوحنا: « من يحفظ كلمته تكمل فيه محبة الله حقاً» عُدْ الى الانجيل ، الا تجد فيه الوصية عينها ؟ قال: « وصية جديدة اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً »[2] بهذا نعلم انا فيه ان كنا فيه كاملين وبقوله كاملين يعني كاملين بالمحبة. وما هو كمال المحبة ؟ كمال المحبة هو ان نحبَّ اعداءنا ليصبحوا اخواناً لنا كما لا يجوز ان نحبهم حباً لحمياً . من المستحسن ان نتمنى لشخص صحة الجسد ؛ ولكن ان فاتته صحة الجسد تسلَم نفسُه . ان تمنيت لصديقك الحياة ، فحسناً تصنع ، وان فرحت بموت عدوك فشراً تصنع . وقد تكون الحياة التي تتمناها لصديقك مضرةً له ، والموت الذي تشتهيه لعدوّك نافعاً له . لا يسعنا ان نقول ان الحياة لهذا الانسان او لذاك هي خير او شر ، بيد انها مع الله خيرٌ دائم . احبَّ اعداءك واطلب ان يكونوا لك اخوة واحبَّهم راجياً ان يشتركوا معك في الحياة ؛ هكذا

---

١) راجع دانيال ٢ : ٣٥

٢) يوحنا ١٣ : ٣٤

أحبَّ ذاك الذي من اعلى صليبه قال: « اغفر لهم يا ابتاه لانهم لا يدرون ماذا يصنعون »[١] لم يقل: « امنحهم يا ابتاه عمرًا طويلاً وافسح لاولئك الذين يقتلوني عمرًا طويلاً في هذه الحياة ». ماذا قال: « اغفر لهم لانهم لا يدرون ماذا يصنعون » اراد ان ينجيهم من الموت الابدي بصلاة لا احن منها ، وقدرة لا اقوى. فآمن عدد منهم وغفر لهم اثمهم لسفكهم دم المسيح. تعدَّوا عليه فسفكوا دمه ثم آمنوا به فشربوه « بهذا نعرف انا فيه ان كنا كاملين » الى هذا الكمال في محبة الاعداء يدعونا السيد بقوله: « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل هو »[٢].

ومن اراد ان يبقى فيه عليه ان يسلك الطريق عينـــه الذي يسلكه هو. وكيف ذلك ايها الاخوة؟ وماذا يريد ان يعلمنا؟ « من اراد ان يبقى فيه رأيُ المسيح ، عليه ان يسلك الطريق عينه الذي يسلكه هو » وهل يدعونا بذلك الى ان نمشي على البحر؟ كلا ، انه يدعونا الى ان نسلك طريق العدل. واي طريق؟ ذكرته منذ هنيهة. على الصليب كان معلقاً وعلى هذا الطريق ، طريق المحبة سار وقال: « يا ابت اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يصنعون » وان تعلمت ان تصلي هكذا لاجل عدوك ، فانك على طريق الرب تسير.

١٠ — « ايها الاحباء » لا اكتب اليكم بوصية جديدة بل بوصية قديمة كانت لكم من البدء. وعن اية وصية قديمة يتكلم؟ ما كان لكم من البدء... قديمة هي لانكم سمعتموها ؛ والا لناقض يوحنا

---

١) لوقا ٢٣ : ٣٤

٢) متى ٥ : ٤٨

قول الرب هذا « وصية جديدة اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً » ولمَ قديمة هي هذه الوصية ؟ الانها تختص بالانسان القديم ؟ ولماذا؟ لانكم اخذتموها من البدء . الوصية القديمة هي هذا الكلام الذي سمعتموه . قديم لانه مسموع ، وانتبهوا الى يوحنا يشرح لنا كيف ان هذه الوصية هي جديدة ايضاً بقوله : « بوصية جديدة اكتب اليكم » ولا تختلف عن الاولى انما هي قديمة وجديدة معاً وفي وقت واحد . ولماذا؟ ان ما تحقق فيه قد تحقق فيكم . انها قديمة لانكم تعرفونها . وهي جديدة لانها بددت الظلمات واشرقت نوراً حقيقياً. وماذا يقول بولس الرسول في هذا الموضوع؟ « لقد خلعتم عنكم الانسان العتيق ولبستم الانسان الجديد »[1] . ثم يقول في موضع آخر « قديماً كنتم ظلمة اما الآن فانتم نور بالرب »[2] .

١١ — هوذا يوحنا يُوضحُ لنا فكرته بقوله : « من قال انه في النور وهو يبغض اخاه فلا يزال في الظلام » آه ايها الاخوة حتى مَ نقول لكم « احبوا اعداءكم » حذار ، وهو شر من الاول ، من ان تبغضوا اخوتكم . لانه ان لم تحبوا سوى اخوتكم بقيتم ناقصين وان ابغضتم اخوتكم فمن تكونون؟ وأين انتم ؟ فليتأمل كل في قلبه ، ولا يجعل مكاناً للحقد على اخيه ، ولا لأي كلام قاس ، ولا يتحول الى تراب بسبب امر ترابي . ومن يبغض اخاه فلا يقل انه يسير في النور . وماذا اقول ؟ لا يقل انه يسير في المسيح « من قال انه في النور وابغض اخاه فهو لا يزال في الظلمة » .

لا ادري اي وثني يصبح مسيحياً . انتبهوا جيداً ، كان في

---

١) كولو ٣ : ٩، ٥

٢) افسس ٥ : ٨

الظلام حـين كان وثنياً وهوذا يصبح مسيحياً. شكراً لله وهنيئاً للجميع. ها انهم يكررون له الكلام الذي عبر فيه بولس الرسول عن سروره بقوله: « لقد كنتم سابقاً ظلمة ، اما الآن فانتم نور بالرب » . كان يعبد الاصنام وهوذا يعبد الله وكان يعبد ما صنعت يداه فراح يعبد صانعه. لقد تغير والحمد لله وهنيئاً لجميع المسيحيين به. ولماذا ؟ لقد راح انسان يعبد الآب والابن والروح القدس ، ويكفر بالشيطان واباطيله. اما يوحنا فلا يزال قلقاً عليه ولا تزال الشكوك تساوره في حين ان الجميع يفرحون ويهللون. ايها الاخوة لنعانقْ معاً وبطيبة خاطرٍ هذا العطف الابوي. امّنا تقلق علينا بحق ، بيد ان ما سواها من الامهات يفرحن. وهذه الام هي المحبة التي عمر بها قلب يوحنا حين راح يقول تلك الكلمات. ولماذا هو يخاف علينا والباقون يهللون ؟ وممّ يخاف ؟ « من قال انه في النور » وما معنى هذا القول ؟ من ادعى انه مسيحي ؟ وابغض اخاه فهو لا يزال في الظلام. لا مجال للشرح ، انما المجال مجالُ فرحٍ اذا خالف الامر هذا الواقع ؛ ومجال حزن اذا كان موافقاً له.

«من احبَّ اخاه فهو في النور وليس فيه عثار» اني استحلفكم بالمسيح ؛ الله يقوتنا وسوف نجدد قوانا الجسدية باسم المسيح وها قد جددناها قليلاً وعلينا ايضاً ان نجددها لتنال نفسُنا غذاءها. ان انطق هكذا فلا لانه بقي علي ان اتكلم طويلاً — وها قـد بلغ الشرح نهايته — بل خوفاً من ان يقلّل الشبع من انتباهنا لتعليمٍ هو في غاية الاهمية.

١٢ — « من احب اخاه فهو في النور وليس فيه عثار » ومن هم اولئك الذين يتحملون الشك او يثيرونه ؟ الذين يجدون الشك

في المسيح او في كنيسته. الذين يشككون بالمسيح هم كمن يحترقون بالشمس والذين يشككون بكنيسته كمن يحترقون بالقمر. قال المزمور: «لا تحرقك الشمس في النهار ولا القمر في الليل»[1]. اذا حافظت على محبتك فلن تعثر لا بالمسيح ولا بكنيسته ولن تتخلّى لا عنه ولا عنها. وكيف يستطيع من يتخلى عن الكنيسة ان يبقى في المسيح ولم يعد عضواً من اعضائه؟ ام كيف يثبت في المسيح من ليس من جسد المسيح؟ وَحْدَهم يشكون العثار أولئك الذين يتخلّون عن المسيح وكنيسته؛ وعلى هذا النحو نفهم كلام صاحب المزامير «لا تحرقْك الشمسُ في النهار ولا القمر في الليل» والمقصود هنا بالاحتراق الشك. اليك هذه المقارنة، من تحرقه النار يقول: لا يسعني ان احتمل، ولا ان اصبر، فينسحب؛ وكذلك من لا يستطيع ان يدرك بعض الامور في الكنيسة يتخلى عن اسم المسيح وعن كنيسته ويشكو عثاراً.

تأمل في اولئك الناس الجسديين الذين يشكون عثاراً وكأني بهم يحترقون بالشمس لدى سماعهم بشارة المسيح بانه سوف يعطيهم جسده قائلاً لهم: «من لا يأكل جسد ابن البشر ولا يشرب دمه فليس له حياة في ذاته» سبعون رجلاً تقريباً قالوا: «انه كلام قاس» ثم ابتعدوا عنه ولم يبق معه سوى الاثني عشر. جميعهم احترقوا بالشمس فابتعدوا؛ لانهم لم يستطيعوا ان يتحملوا قوة الكلمة وبقي الاثنا عشر. ولكن لئلا يُظنّ ان ايمانهم به، انعامٌ منهم عليه، قال السيد للاثني عشر الذين معه، مظهراً فضله عليهم: «وانتم ايضاً تريدون ان تمضوا» وذلك لتعلموا انكم انتم بحاجة الي لا انا بحاجة

---

١) مزمور ١٢٠: ٦

اليكم . واجاب اولئك ، الذين لم يحترقوا بالشمس ، على لسان بطرس « يـا رب الى من نذهب ان كلام الحياة الابدية هو عندك ؟ »[1].

ومن هم الذين تحرقهم الكنيسة كالقمر ليلاً ؟ الذين انفصلوا عنها . اصغ جيداً الى ما يقول الرسول : « فمن يضعف ولا اضعف انا او من يشكك ولا احترق انا ؟ »[2] ولمَ لا يشكك من يحب اخاه ؟ لان من يحب اخاه يتحمل كل شيء في سبيل الاخوة ولانّ المحبة الاخوية على وحدة المحبة تقوم . ان أهانك انسانٌ شريرٌ او ظننته شريراً او خيّل اليك انه شرير اتترك بسببه كثيرين من الصالحين ؟؟ وما قيمة محبة الدوناتيست ؟ يهاجمون مسيحيي افريقيا ويتخلّون عن العالم بأسره ؟ الم يكن قديسون اذ ذاك في العالم ؟ وكيف حكمت عليهم قبل ان تستمع اليهم ؟ لو احببت اخوتك لما بقي عندك ادنى شك . اصغ الى صاحب المزامير يقول : « ان الذين يحبون شريعتك لهم سلام جزيل وما لهم من معثرة »[3] لقد قال ان الذين يحبون شريعة الله يتمتعون بسلام جزيل وما لهم من معثرة ، ومن هم ، بنظر صاحب المزامير ، اولئك الذين لا يسلكون ولا يعثرون ؟ الذين يحبون شريعة الله ؛ اي المقيمون على المحبة . ولكن قد يعترض احدهم فيقول ان الرسول يتحدث عمن يحبون شريعة الله ، لا عمّن يحبون اخوتهم . اصغ جيداً الى قول الرب « وصية جديدة اعطيكم ان يحب بعضكم بعضاً » وما الشريعة ؟ وصيـة وحسب . وبالتالي فكيف يمكننا ان ننجو من المعثرة ان لم نتحمل

١) راجع يوحنا ٦ : ٥٤–٥٩
٢) ثانية كورنثية ١١ : ٢٩
٣) مزمور ١١٨ : ١٦٥

بعضنا بعضاً ، تجاوباً مع كلام الرسول بولس : « احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا اتموا ناموس المسيح »[١] .

١٣ – واما من ابغض اخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يدري اين يتجه « انها لمسألة خطيرة فاصغوا الي ايها الأخوة » من ابغض اخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يدري اين يتجه لان الظلمة قد اعمت عينه . وهل اشدُ عمىً ممن يبغضون اخوتهم ؟ والبرهان على انهم عميان كونهم اصطدموا بالجبل. واني اكرر القول عينه لئلا يفوتكم شيء منه . وهذا الحجر الذي انسلخ عن الجبل دون ان تمسَّه يدُ انسان اليس هو المسيح الخارج من اليهود بدون زواج ؟ ألمْ يحطم جميع ممالك الارض ويقضي على قوى الاصنام والابالسة ؟ الم ينمُ هذا الحجر حتى اصبح عظيماً وملأ الارض باسرها ؟ الا نشير بالاصبع الى هذا الجبل كما نشير الى القمر في يومه الثالث ؟ ها هم يبحثون عن القمر الطالع فيقولون : « هوذا القمر » ، انه في ناحية كذا ؛ وان كان بينهم من لم يستطيعوا ان يدركوا مكانه واستوضحوا قائلين : اين هو ؟ فانك تشير اليه باصبعك لتساعدهم على رؤيته . وانهم ليحمرون خجلاً من عماهم زاعمين انهم رأوه وهم لا يرون شيئاً . أهكذا نشير الى الكنيسة ايها الاخوة ؟ انها ظاهرة للعيان . اليس كذلك ؟ الا تقبض على ناصية الشعوب ؟ انها تحقق الوعد الذي اعطي لابراهيم منذ سنين ، اليس كذلك ؟ وهو ان جميع الامم تتبارك بذريته . الوعد كان لواحد ؛ وهوذا العالم يمتلئ مؤمنين ؛ وهوذا الجبل يملأ سطح الارض ؛ وهي ذي المدينة التي قيل عنها : « المدينة المبنية على جبل لا تختفي »[٢] .

١) افسس ٤ : ٢ ، ٣
٢) متى ٥ : ١٤

لقد اصطدموا بالجبل وحين قيل لهم اصعدوا ، اصعدوا اجابوا: « لا جبل هنا» . ان يضربوا رأسهم بالجبل اسهل عليهم من ان يبحثوا عن ملجأ لهم فيه .

لقد قرأت عليكم امس نبوءة اشعيا وكل من كان بينكم يقظاً ، فاتحاً عينيه واذنيه ، لا عينيه الجسديتين وحسب بل وعيني قلبه ، ادرك الكلمات التالية « ويكون في آخر الايام ان جبل بيت الرب يوطد في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال « وتجري اليه جميع الامم»[١] . واي شيء اوضح للعين من الجبل ؟ في الارض جبال لا تعرفها لانها تشغل في الارض نقطة واحـدة محدودة . ومن منكم يعرف جبل الاولمب ؟ سكانه لا يعرفون جبلنا «جدّابا» . انها الجبال تشغل نقطة معينة في الارض . انما يختلف تماما هذا الجبل عن تلك الجبال لانه يملإ الارض كلها ، لقد قيل عنه « انه يوطد في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال واليه تجري جميع الامم » ومن ذا الذي يتيه فوق هذا الجبل ؟ ام من ذا الذي يحطم رأسه حين يرتطم به ؟ ومن ذا الذي لا يعرف المدينة المبنية فوق هذا الجبل ؟ لا عجب ان كان يجهلها هؤلاء الذين يبغضون اخوتهم لانهم في الظلمة يسلكون ولا يعرفون اين يتجهون . ولا عجب ان كانوا لا يرون الجبل لان الظلمات اعمت عيونهم وليس لهم عيون . ولمَ ليست لهم عيون؟ الظلمات اعمتها. وما هو برهاننا على ذلك؟ بغضهم لاخوتهم. اصطدموا باخوان لهم في افريقيا فانفصلوا عن الارض كلها لانهم لم يتحمّلوا ، حباً بسلام المسيح ، اناساً شوهوا سمعتهم واحتملوا ، حباً ببدعة دوناتوس[٢] ، اناساً قد حكموا عليهم وشجبوهم .

---

١) اشعيا ٢ : ٢

المقالة الثانية

التثقيف والخلاص

١ — يجب ان نعير انتباهاً تاماً لكل قراءة من الكتاب المقدس ، نتوخّى منها التثقيف والخلاص ؛ ولا سيّما ما كان منها جازماً ، صريحاً ، بحق الهراطقة ، الذين لا ينفكون ينصبون شراكاً للايقاع بضعاف المسيحيين والمتوانين منهم . تذكروا ان سيدنا يسوع المسيح قد مات من اجلنا وقام ؛ بسبب خطايانا مات ؛ ولكي يبررنا ، قام من بين الاموات .

لقد سمعتم قصة التلميذين اللذين التقاهما الرب على الطريق ولم يعرفاه لظلام عيونهما . التقاهما حين كان اليأس من خلاصه قد استولى عليهما ؛ لانهما ظنّا انه تألم ومات كانسان ؛ ولم يفكرا انه لا يزال حيا ، بصفته ابن الله ، ظنّا انه مات بالجسد ، دون اي رجاء بالقيامة ، كاحد الانبياء . بهذا تحدّثا ولو اصغيتم لسمعتم منهما هذا الحديث عينه . اذ ذاك شرح لهما السيد الكتب المقدسة ، من موسى الى الانبياء ، مبيّناً لهما ان الانبياء قد تكلموا عن الامه

لئلا يزدادا خوفاً واضطراباً وارتباكاً لسماعهما بقيامته . كل ما حدث للسيد المسيح قد تنبأ عنه الانبياء ؛ وفي ذلك تشديد وترسيخ للايمان. عرف التلميذان الرب ، عند كسر الخبز ؛ لان من لا يأكله ولا يشربه ، لدينونته يعرف الرب عند كسر الخبز .

والاحد عشر انفسهم ظنوه خيالاً فتركهم يسوع يلمسونه، وهو الذي تركهم يصلبونه . كان الصلب بيد اعدائه ؛ واللمس بيد اصدقائه؛ ومع انه طبيب الكل ، عالج ، في هؤلاء ، اثمهم ، وفي اولئك ، ايمانهم ؛ ولقد سمعتم في اعمال الرسل ان الآلاف ممن قتلوا المسيح قد آمنوا به[1]. ان كان قاتلوه قد عادوا فآمنوا به فكيف لا يؤمن به اولئك الذين استسلموا الى الشك هنيهة في حياتهم ؟ ومع ذلك – هناك امر يجب ان تفهموه وتذكروه دوماً وهو ان الله اقام الكتب المقدسة سوراً ، بوجه الاضاليل الخبيثة ، لا يقوى احد عليه ، وان كان تعلقه بالمسيحية ضعيفاً – فالرب لم يسمح للرسل بأن يسلّموه وحسب بل استعان بالكتب المقدسة ليثبت الايمان في نفوسهم. لقد رآنا نأتي اليه ، نحن الذين لم يبقَ لنا ان نلمس المسيح بل ان نقرأ له ونطالع عنه ؛ ولو ان الرسل آمنوا به لانهم لمسوه وحسب، فماذا نصنع نحن ، وقد جئنا بعد صعود المسيح الى السماء ، وهو الذي لن يعود ، الا في نهاية العالم ، ليدين الاحياء والاموات ؟ على اي شيء يعتمد ايماننا اذاً ، ان لم يكن على ما ثبَّت به الرب ايمان الرسل الذين لمسوه ؟ لقد شرح لهم الكتب وبيّن لهم انه يجب على المسيح ان يتألم ويتمّ كل ما كتب عنه في موسى والانبياء والمزامير فشمل العهد القديم بكامله لان كل فقرة فيه تردّد صوت

---

١) راجع اعمال الرسل ٢ : ٤١

المسيح ، شرط ان نفتح اذاننا لسماعه ؛ وفتح عقولهم ليفهموا الكتب. فلنسأله نحن ايضاً ان يفتح عقولنا .

٢ — وماذا يقدم لنا الرب ممّا جاء عنه في شريعة موسى والانبياء والمزامير ؟ وماذا يكشف لنا ؟ منه ننتظر جواباً . لقد اوجزه الرسول لنعرف ما يجب ان نؤمن به في مجالات الكتب المقدسة الفسيحة . في الكتب عدة صفحات واسفار وكلها تحتوي ما اوجزه الرب لتلاميذه بقوله : « كان يجب على المسيح ان يتألم ويموت » لقد صرت تعرف ، منذ الآن ، عن الختن « انه كان يجب على المسيح ان يتألم ويموت ويقوم في اليوم الثالث » اما عن العروس فلنسمع ما يقول : « بما انك تعرف العروسين ، تحضر عرسهما . كل احتفال هو احتفال زواجي وفيه عرس الكنيسة . على ابن الملك ان يتخذ زوجة . وابن الملك هو الملك عينه والمدعوون في العرس هم العروس . وليس هذا العرس كالاعراس البشرية حيث العروس شيء والمدعوون شيء آخر . في الكنيسة ، ان تمتَّع الحضور بالشروط المطلوبة ، صاروا العروس . الكنيسة بأسرها هي عروس المسيح ، من جسده تنبثق ؛ ومنه بواكيرها ، هنالك اتحد العروسان بالجسد ، وبحق ، يوم اراد ان يكشف لنا عن قيمة جسده ، كسر الخبز . وبحق انفتحت اعين تلاميذه وعرفوه ، ساعة كسر لهم الخبز .

واي شيء كتب عنه يقول الرب في الشريعة والانبياء والمزامير ؟ كتب عنه انه كان يجب ان يتألم المسيح . ولو لم تزد « وان يقوم من بين الاموات » لوجد من لم يعرفوه ، عذراً لتشكّيهم . لكن النبوءات تكلمت عن قيامته . ولم هذا كله ؟ ولم كان يجب على المسيح ان يتألم ويقوم ؟ ورد الجواب على هذا السؤال في مزمور

نبهنا مسامعكم اليه يوم الاربعاء في اول اجتماع عقدناه ، الاسبوع الماضي ، حيث يقول « تذكر جميع اقطار الارض وترجع الى الرب وامام وجهك يسجد جميع عشائر الامم »[1]. وادراكاً للسبب الذي من اجله تألم المسيح ومات وقام ، ماذا تراه يضيف بعد ان نبّه مسامعنا الى الختن وعروسه ؟ اضاف : ويبشَّر باسمه في كل الامم للتوبة ومغفرة الخطايا ابتداء من اورشليم .

احفظوا جيداً ايها الاخوة ما سمعتم ولا يشكّنَّ احد بأن الكنيسة منتشرة بين جميع الشعوب وانها بدأت في اورشليم لتشمل الامم كلها . انَّا نعرف الحقل حيث غرست الكرمة ، انما لن نعرف الكرمة بعد ان تنمو وتملأ كل شيء . اين بدأت ؟ « في اورشليم » الى اين امتدت ؟ « الى كل الامم » بقي عددٌ ضئيلٌ خارجاً عنها ، انما سوف تصل اليه . وحين تسيطر على الكل تبقى فيها اغصان نافلة ؛ على الحارث ان يقطعها . هؤلاء هم مسببو الانشقاقات والبدع . فلا يغرنّك غصن من هذه الاغصان المقطوعة لئلا يصيبك ما اصابها . حرّض ، بالاحرى ، الاغصان المقطوعة الى ان تعود فتأخذ محلها في الكرمة . من الواضح ان المسيح تألم وقام وصعد الى السماء ، ومن الواضح ان الكنيسة قائمة لتدعو ، باسم المسيح ، جميع الشعوب الى التوبة فمغفرة الخطايا . اين بدأت ؟ في اورشليم ! هذا ما يدركه الاحمق الساذج . ثم ؟ اعمى هو كل من لا يرى جبلاً عظيماً بهذا المقدار ويطبق عينيه عن رؤية النور الموضوع فوق مصباح .

٣ — حين نبادلهم بالقول ، ان كنتم مسيحيين كاثوليكاً ،

---

١) مزمور ٢١ : ٢٨

اتحدوا مع الكنيسة التي منها انتشر الانجيل في العالم كله واتحدوا مع اورشليم هذه ، يجيبوننا ، لا نتحد مع المدينة حيث قتل ملكنا وربنا وكأنهم لا يضمرون سوى الحقد لهذه المدينة التي فيها قتل ربنا. قتل اليهود ذاك الذي على الارض وجدوه امامهم فصفروا بسخرية ضد الجالس في السماء. فأي من هاتين الفئتين شر من الاخرى؟ الذين يحتقرون من يظنونه انساناً ام اولئك الذين يصفرون بسخرية ضد من يعترفون بانه اله ؟ يقولون انهم يكرهون المدينة حيث قتل الرب ، فيا ايها الاتقياء الرحماء تتألمون لموت المسيح وتروحون تقتلونه في قلوب الناس. لقد احب مدينتكم واشفق عليها ومنها اراد ان ينطلق التبشير بانجيله « من اورشليم » وفيها اراد ان يبدأوا التبشير باسمه. او تظل فكرة الاتحاد مع الكنيسة ترعبك؟ فلا عجب وانت الغصن المقطوع ، قد ابغضت الاصل. وماذا قال لتلاميذه؟ قال: « وانتم امكثوا في المدينة حتى ارسل اليكم البار قليط ». هذه هي المدينة التي ابغضوها. لو كان اليهود قتلة المسيح سكاناً فيها لاحبوها. انا نعرف ان جميع قتلة المسيح ، اي اليهود ، قد طردوا منها. لقد كان فيها اعداء الدّاء للمسيح اما اليوم فعباد يسجدون له. ابغضوها لان سكانها مسيحيون. فيها اراد ان يمكث تلاميذه فارسل اليهم روحه القدوس. بدأت الكنيسة حيث نزل الروح القدس من السماء وملأ قلوب المائة والعشرين تلميذاً المجتمعين. زاد عدد المجتمعين عشرة اضعاف فاجتمع فيها مائة وعشرون تلميذاً وحل عليهم الروح القدس وملأ البيت كله وحدثت ضجة عظيمة كصوت ريح شديد وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار. لقد سمعتم ما تلي عليكم اليوم من اعمال الرسل. « وطفقوا يتكلمون

بلغات اخرى كما آتاهم الروح ان ينطقوا »[1] وكل الذين كانوا هناك رجال من اليهود من بلدان مختلفة كانوا يفهمون كل واحد بلغته ويتعجبون كيف ان اولئك الجهال الاميين قد تعلموا لغات الارض باسرها وراحوا يتكلمونها. ان تنطلق من ذاك المكان لغات الشعوب فهذا دليل على وجوب اعتناق الشعوب لذلك الايمان. ان الذين يحبون المسيح ويتذرعون بموقفهم هذا للامتناع عن الاشتراك مع المدينة التي قتلت المسيح يكرمون المسيح هكذا بأن يحصروه في اطار لغتين فقط، اللغة اللاتينية واللغة الافريقية. اوينحصر ملك المسيح في بلاد تكتفي بهاتين اللغتين ؟ تبّاع دوناتوس يتكلمون هاتين اللغتين دون سواهما.

فلنستيقظ ايها الاخوة ولنرَ موهبة الروح، مؤمنين بما قيل عنه، متيقنين من ان كل ما جاء عنه في المزمور قد تحقق « ليس قول ولا كلام لا يسمع به صوتهم »[2] وخوفاً من ان تعتقد من ان الالسنة هي التي تجمعت في مكان واحد، وموهبة المسيح التي جاءت على كل الالسنة، اصغ الى ما يلي « في الارض كلها ذاع منطقهم وفي اقاصي المسكونة كلامهم » ولم هذا كله ؟ « لانه للشمس نصب خباء فيهم » اي على مرأى من الجميع. خباؤه جسده، وخباؤه كنيسته، للشمس نصبت لا لليل بل للنهار. ولم لم يعرفه هؤلاء ؟ عودوا الى النص الذي انهينا به قراءتنا امس وتأملوا لماذا لم يعرفوه. « من ابغض اخاه، في الظلمة يسلك ولا يدري اين يتجه لان الظلمة اعمت عينيه ». لنكمل ولنحذر الظلمة. وكيف

---

١) راجع اعمال الرسل ٢ : ١-١٢

٢) مزمور ١٨ : ٤-٦

نتمكن من تجنب الظلمة ؟ ان احببنا اخوتنا . وكيف نعرف انا نحب اخوتنا كلهم ؟ بهذا وهو انّا لا نمزق الوحـــدة بل نرعى المحبة .

٤ — « اكتب اليكم ايها الابناء لان خطاياكم قد غفرت لكم لاجل اسمه » واسميكم اولاداً لان غفران الخطايا ولادة جديدة ، ولكن باسم من تغفر خطاياكم ؟ باسم اغوسطينوس ؟ لا باسم هذا ولا باسم دوناتوس . تعرفون من هو اغوسطينوس ومن هو دوناتوس؟ ولا تغفر لا باسم بطرس ولا باسم بولس . ان محبة الرسول وقفت بوجه من كانوا يقسمون الكنيسة ويزعزعون وحدتها بالانشقاقات ، كالام تلد بنيها وتفتح حشاها وتمزقه بكلامه باكية بنيها المتباعدين عنها داعية الى واحد اولئك الذين كانوا يدعون الى اسماء عديدة فلا تقبل ان يحبها احد ليظل المسيح محبوباً ثم تقول « العلّ بولس صلب لاجلكم ام باسم بولس اعتمدتم ؟ »[1] وما معنى ؟ انا لا اريد ان تكونوا لي كي تكونوا معي ، كونوا معي كلكم لنكون كلنا لمن صلب ومات عنا اذ ذاك تغفر خطاياكم باسمه لا باسم انسان عادي .

٥ — « اكتب اليكم ايها الاحباء » ولمَ وجه كلامه اولاً الى الاولاد . لان خطاياكم غفرت لكم باسمه وانتم تجددتم في حياة جديدة لهذا دعيتم اولاداً . وسماكم الاباء لانكم عرفتم من هو منذ البدء . والبدء خاص بالابوّة ، جديد هو المسيح بجسده وقديم بلاهوته ، فما هو عمر قديمه اذاً ؟ وكم سنة ؟ هل هو اكبر سناً من امه ؟

---

١) ١ كور ١ : ١٣

اجل ؟ « لان كل شيء به كوّن »[1] وان كان قد كون كل شيء فامه ايضاً قد كونها بقديمه ليولد منها في جديده . وهل نظن انه موجود فقط قبل امه ؟ في قديمه هو قبل اجداد امه ، ابراهيم هو جد امه والرب قد قال « قبل ابراهيم انا » انا نقول قبل ابراهيم؟ السماء والارض كونتا قبل الانسان . والرب كائن قبلها وقبلها بزمن طويل . وبدون منازع يقول ، قبل ابراهيم انا وليس قبل ابراهيم كنت . انّا ما نقول عنه كان ، لم يعد موجوداً وما سيكون لا وجود له حتى الآن . اما هو فلا يعرف سوى الوجود وليس لديه ماضٍ ولا مستقبل . يومه واحد انما ازلي ، ولا وجود لهذا اليوم بين الامس والغد لان الامس انتهى وما يبدأ اليوم سوف ينتهي في غد مقبل. وحيد هو ذلك اليوم لا ظلام فيه ولا ليل ولا قياس ولا ساعات ولا هنيهات . سمّه ما شئت . انه نهار اذا شئت ، وسنة ، وسنوات ، اذ عنه قد قيل: « وسنوك لن تنتهي » ومتى سمّي هذا اليوم؟ حين قيل للرب: « اليوم ولدتك » . ولده الاب الازلي ولادة ازلية ، في الازل اي لا بداية له ولا نهاية حتى ولا هنيهة زمنية لانه هو الذي هو وهذا هو الاسم الذي اعطاه لموسى قائلاً له ، وانت تقول لهم « الكائن ارسلني اليكم » ما معنى قبل ابراهيم ؟ وقبل نوح ؟ وقبل آدم ؟ اصغ الى الكتاب « قبل الفجر ولدتك » اي قبل السماء والارض . ولماذا ؟ لان به كل شيء كون وبدونه لم يكوّن شيء. وعليه ، اذا ايها الاباء ، اعلموا جيداً ان الانسان يصبح اباً حين يعرف الكائن منذ البدء .

---

١) يوحنا ١ : ٣

مزمور ١٠١ : ٢٨

مزمور ٢ : ٧

٦ — « اكتب اليكم ايها الفتيان » انهم اولاد وآباء وفتيان . هم اولاد لانهم يولدون وآباء لانهم يعرفون الكائن منذ البدء ، وكيف هم فتيان ؟ « لانكم قد غلبتم الشرير » في الاولاد الولادة وفي الاباء القدم وفي الفتيان القوة . ان غلب الفتيان الشرير فهذا يعني انه يحارب ضدنا . يحارب ولا يغلب . ولماذا ؟ ألاننا اقوياء ام لانه قوي فينا ذاك الذي عُدّ ضعيفاً في ايدي مضطهديه ؟ ان الذي لم يقاوم مضطهديه قد قوانا . بالضعف صلب انما بقوة الله يحيا.

٧ — « اليكم ايها الاولاد اكتب » وانّى لكم ان تكونوا اولاداً؟ لانكم عرفتم الاب . واليكم اكتب ايها الاباء ، ويكرر ويلح ، لانكم عرفتم من هو منذ البدء . اذكروا انكم اباء لانكم ان نسيتم من هو منذ البدء فقدتم ابوتكم . « واليكم اكتب ايها الفتيان » تأملوا ملياً بانكم فتيان . جاهدوا في سبيل النصر . انتصروا لتربحوا الاكليل ؛ وتواضعوا كيلا تخسروا المعركة . اليكم اكتب ايها الفتيان لانكم اقوياء وفيكم تثبت كلمة الله وقد غلبتم الشرير .

٨ — ان نعرف ما هو منذ البدء وان نكون اقوياء فنعرف الاب ، امتيازات كلها تكشف لنا قيمة المعرفة . أولا تكشف لنا قيمة المحبة ؟

فلنحب ان عرفنا ، ان المعرفة بدون محبة لا تخلّص . « العلم ينفخ والمحبة تبني »[1] ان عرفتم ولم تكن فيكم المحبة شابهتم الشياطين الذين اعترفوا بابن الله قائلين « ما لنا ولك »[2] حين كان الرب

---

١) ١ كور ٨ : ١

٢) متى ٨ : ٢٩

يطردهم. اما انتم فاعترفوا به وعانقوه؛ هم فزعوا منه بسبب آثامهم اما انتم فاحبوه لانه خلصكم من الآثام.

محبة الله ومحبة العالم

ولكن، كيف نستطيع ان نحب الله والعالم معاً؟ يهيئ الله فينا مسكناً للمحبة. والمحبة نوعان، محبة الله ومحبة العالم. ان مكثت فينا محبة العالم فلن يبقى محل لمحبة الله. انبذوا محبة العالم واقيموا فيكم محبة الله وليكن المسكن للافضل بينهما. حين تفرغ قلبك من محبة العالم تملأه بمحبة الله وتمكث فيك المحبة التي لا يصدر عنها اي شر. اصغ اذاً الى كلام من لا يريد سوى التطهير، ان قلب الانسان، بنظره، لشبيه بحقل. وكيف يجده؟ ان وجد فيه غابة نقبها وان يجد حقلاً نظيفاً غرسه ونصب فيه شجرة المحبة، ومن الغابة التي يريد ان ينقبها؟ محبة العالم. اصغ الى ناقب الغابة، لا تحب العالم وما اليه ولا تحب من في العالم لان من احبّ العالم فقد محبة الله.

٩ — لقد سمعتم «ان من احب العالم فقد محبة الله» ولا يقولن احد في قلبه ايها الاخوة هذا خطأ، لان الله هكذا تكلم والروح القدس نطق بلسان الرسول ولا اصحّ من هذا الكلام «من يحب العالم يفقد محبة الله» فان اردت ان تحتفظ بالمحبة للاب لتكون وريثاً لابنه فاياك ومحبة العالم. اطرح عنك حب العالم الفاسد تمتلئ حباً لله. انك اناء ملآن حتى الان. افرغ ما فيك لتمتلئ ممّا ليس فيك. صحيح ان اخوتنا، من الماء والروح، قد ولدوا؛ ونحن كذلك ولدنا، منذ سنوات، من الماء والروح. خير لنا ان نكره العالم لئلا تكون الاسرار التي قبلناها، لدينونتنا، لا لخلاصنا.

قوة الخلاص في ان تتأصل المحبة فينا الى جانب التقوى والا تقتصر حياتنا المسيحية على المظاهر الخارجية . صالح هو مظهر القداسة ؛ ولكن ما قيمة المظهر بدون اصول ؟ الغصن المقطوع من الشجرة يطرح في النار ، اليس كذلك ؟ اما انت فليكن فيك المظـــهر والاصل . وكيف نثبت في الاصل ، فلا نقطع ؟ نستمسك بالمحبة وفقاً لقول بولس الرسول « تأصلتم في المحبة وتأسستم عليها » وكيف تتأصلون في المحبة وانتم عائشون بين اغصان كثيفة من محبة العالم؟ اقتلع الاشجار من الغابات والق في الارض بذاراً صالحاً ولا تدع في الحقل شيئاً يخنق الزرع وهاك الكلام الذي يقتلع الشجر « لا تحبوا العالم وما فيه لان من يحب العالم لا يحب الاب » .

١٠ — كل ما في العالم شهوة لحم وشهوة عين وطمع ؛ امور ثلاثة ليست من الاب بل من العالم . يقول بعضنا ، العالم يزول مع شهواته بيد ان من يعمل ارادة الله يحيا الى الابد كالله ذاته الذي يحيا الى الابد .

ولم لا احب ما صنعه الله ؟ وماذا نفضل ؟ اتريد ان تحب الحياة الدنيا وتزول مع الزمن ام تكره الزمن وتحيا الى الابد مع الله؟ نهر الزمنيات يجري ، وسيدنا يسوع المسيح على ضفة النهر ولد ؛ اخذ جسماً ومات وقام وصعد الى السماء ، ولقد احب ان يولد على ضفة هذا النهر حتى اذا ما جرفك التيار تتمسك بالشجرة القائمة على الضفة واذا حملتك محبة العالم تتمسك بالمسيح . لقد اصبح زمنياً ، حباً بك ، ليصيّرك ابدياً . من الزمن اتخذ شيئاً دون ان يتخلى عن ازليته . انت ولدت بالخطيئة اما هو فقد صار زمنياً رحمةً بك ، ليغفر خطاياك . ما اعظم الفرق بين محكوم وزائر وان

التقيا في سجن . هذا جاء يزور صديقه فدخل واجتمع اليـه في السجن ، مع ما بينهما ، من فروق ومميزات . احدهما ادخل السجن بتهمة ؛ والآخر دخله تلبية لعاطفة انسانية . هكذا نحن وجدنا في هذه الحياة الفانية كمن في سجن من جراء الخطيئة ؛ اما هو فقد انحدر من السماء ، مع محبته ، جاء الى الاسير ، مخلصاً ، لا متهماً . سفك الرب دمه لاجلنا وخلصنا وبدل دينونتنا بالرجاء . ما زلنـا بشراً مائتين غير اننا للخلود راجون . ما زالت تتقاذفنا امواج البحر غير اننا القينا مرساتنا في ارض الرجاء .

لا تحب العالم وما فيه لان كل ما فيه شهوة جسد وشهوة عين وطمع . ثلاثة اشياء . ولا تقل ، الله صنع ما في العالم ، صنع السماء والارض والبحر والشمس والقمر والنجوم وصنع كل ما في السماوات . وماذا يحتوي البحر ؟ الاسماك . والارض ؟ الحيوانات والنباتات والطيور . هذه كلها في العالم ، والله صنعها . ولماذا لا يحق لي ان احب ما صنعه الله ؟ جعل الله روحه فيك لترى حسن ما صنع وكوّن . لكن ، الويل لك ان احببت المخلوقات واهملت الخالق . انك تراها جميلة ولكن شتان ما بين جمالها وجمال خالقها . ايقظ فيك المحبة . تستطيع ان تتعرّف اليها بواسطة المقارنات ولكن حذار ان يلج الشيطان الى قلبك ويقول لك ما تعوّد ان يقوله . مصلحتك تقوم على المخلوقات ولو لم تكن فيها مصلحتك لما صنعها الخالق . فيسكرون اذ ذاك ويفقدون رشدهم وينسون خالقهم واذ يستمتعون بنهمٍ وشراهةٍ بالمخلوقات ، يحتقرون الخالق . عنهم قال الرسول : « اتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق الذي هو مبارك مدى الدهور » لا يحرّم الله عليك حب المخلوقات بل يحرم عليك عبادتها ،

احرِ بك ان تحترمها وتمدحها حباً بالخالق.

لنفرض ايها الاخوة ان عروساً قدم لعروسه خاتماً فقبلته واحبته اكثر من مقدمه ؛ الا نجد في تعلق قلب العروس بهذه الهدية ، على هذا الشكل ، زنى بحق عروسها ؟ صحيح انها احبت هدية عروسها ، ولكنها ، لو قالت حسبي هذا الخاتم ولا حاجة لي برؤية خطيبي . فمن تكون ؟ اولا نحكم عليها بالجنون ؟ ومن لا يبين لهذا القلب زناه ؟ انك توؤثر الذهب على الرجل ، والخاتم ، على الخطيب ، وان كانت هذه هي عواطفك الى حد انك توؤثر الخاتم على الخطيب وتأبى ان ترى خطيبك ، يتحول الميثاق بينكما من رباط محبة الى بغض وعداوة. اعطاك الخطيب الخاتم لكي تحبه في هذا الخاتم الذي اعطاكه . واعطاك الله هذه الاشياء كلها كي تحبه فيها هو صانعها . انه يريد ان يزيدك عطاء فيعطيك ذاته ، هو الذي صنع هذه الاشياء. ان احببتها كلها ولو كانت من صنع الله ، واهملت خالقك ، فاحببت العالم ، الا تجد ذاتك في هذه المحبة زانياً ؟ .

١١ – لا يدعى عالمنا فقط هذا الكون الذي جعله الله سماء وارضاً وبحاراً ، اشياء منظورة وغير منظورة ، بل يُدعى ايضاً سكان العالم عالماً كما يُدعى بيتاً ، البناية وساكنوها. واحياناً قد نثني على البيت ونلوم ساكنيه فنقول مثلاً ، انه لبيت جميل مصنوع من الرخام وغني باثاثه ، وبمعنى آخر نقول ، انه لبيت جميل لا يشكو فيه احد ظلامة ولا سرقة ولا كبتاً وبهذا لا نثني على البناية بل على سكانها وفي الحالتين نقول « البيت » وكذلك كل من يحبون العالم ويقيمون فيه عن حب كما يسكن السماء جميع من

تعلقتها قلوبهم وبقيت اجسادهم على الارض ، جميع هؤلاء نسميهم عالماً . لهؤلاء شهوات ثلاث ، شهوة الجسد وشهوة العين والطمع . الى الاكل والشرب يتوقون والى هذه الشهوات يستسلمون . الا يستطيعون التمتع منها بمقدار ؟ حين نقول « لا تحبوا الشهوات » هل نعني الامتناع عن الاكل والشرب وايلاد البنين ؟ كلا . انما وضع الخالق لها حداً يجب ان نحترمه لئلا تقيدنا بسلاسل محبتها فنحب بلذة ما اعطيناه لخيرنا ومنفعتنا . تخضع لامتحان عندما تخير بين امرين ، اتريد العدل ام المال ؟ انما ليس لي ما اعيش به وليس لي ما آكل وليس لي ما اشرب ، وماذا بعد ان كنت لا تستطيع الحصول عليها الا عن طريق الاثم ؟ اليس من الافضل ان تؤثر خيراً باقياً على ارتكاب الخطيئة ؟ انت ترى ذهباً وتسعى وراءه ؛ ولا ترى ما يساور ايمانك من الخطر . ذاك ما قاله لنا وهو ان شهوة الجسد هي شهوة الامور التي تختص بالجسد كالاكل ولذة المضجع وما سواها من هذا النوع .

١٢ — وشهوة العين

وشهوة العين هي كل فضول . ومن ذا يعرف حدودها ؟ انها تشمل المشاهد والمسارح والخزعبلات الشيطانية والسحرية والاعمال الخبيثة وتمتحن احياناً خدام الله لتحملهم على القيام بما يشبه العجائب وعلى تجربة الله لعله يستجيبهم فيجري على ايديهم الخوارق . هذا هو الفضول وهذه هي شهوة العين وليست من الاب وان اعطاك الرب سلطاناً فمارسه ، لقد اعطاكه لتمارسه ولا يعني ان من لم يأخذوه يحرمون من ملكوت الله . وماذا قال الرب للرسل الذين فرحوا لان الشياطين تخضع لهم « لا تفرحوا بهذا ، بل افرحوا لان اسماءكم

كتبت في السماء » لقد اراد الرب من الرسل ان يفرحوا بما يجب ان يكون موضوع فرح لك ايضاً. ويل لك ان لم يكتب اسمك في السماء ، ولكننا لا نقول الويل لك لانك لم تقم الموتى ولم تمشِ على البحر. ان كان لك هذا السلطان فمارسه بدعة وتواضع ، بعض الانبياء ، يقول لنا الرب ، يصنعون الخوارق والايات. اطرح عنك طمع العالم الذي هو الكبرياء حيث يفاخر الانسان بنفسه وغناه ، ويقيس عظمته بمقياس غناه وسلطانه. تلك هي الشهوات الثلاث ولن تجد اصلاً ، خارجاً عنها ، للمذات الانسان المحصورة في شهوة الجسد والطمع وبهذه الثلاث حاول الشيطان ان يجرب الرب.

١٣ — جربه بشهوة الجسد حين قال له ، ان كنت ابن الله قل لهذه الحجارة ان تصير خبزاً وذلك بعد ان صام ؛ ولكن ، كيف طرد ابليس وعلّم جنوده فنون المعركة؟ اصغ الى جوابه « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من الله ».

وجربه بشهوة العين انتظاراً للاعجوبة حين قال له « الق بنفسك من عل لانه كتب بانه يأمر ملائكته لتحملك بين ايديها لئلا تصدم رجلك بحجر » ورفض السيد التجربة ولو انه عمل الاعجوبة لكان ظهر بمظهر المستسلم الى الشيطان والى تجربة الفضول ، بيد انه صنع الايات حين اراد ؛ وبصفته الهاً ، شفاء للمرضى ؛ ولو انه صنع اعجوبة آنذاك لظن الناس انه يسعى للقيام باعجوبة وحسب. ولكن خوفاً من ان يتحقق ظن الناس اعطى الجواب ، وانت كذلك اذا ما حدثت لك تجربة من ذاك النوع قل له بدورك « ابعد عني يا شيطان » لانه مكتوب « لا تجرب

الرب الهك » اي اني اذا لبيت طلبك اجرب الله . ولقد قال ما يريد ان تقوله انت . واذا ما قدم لك العدو اقتراحاً قائلاً ، اي انسان انت ، واي مسيحي ، واية اعجوبة صنعت ؟ هل اقمت الموتى من قبورها وشفيت المرضى ؟ ان كنت تعتبر ذاتك حقــاً فيجب ان تصنع اعجوبة . اذ ذاك جاوبه قائلاً : « مكتوب لا تجرب الرب الهك » وكأن القيام باعجوبة دليلٌ على اني لله والا فلست له . وهل انسى كلماته القائلة : « افرحوا لان اسماءكم كتبت في السماء ؟ » .

وكيف جرب الشيطان الرب تجربة الطمع ؟ اصعده الى جبل عال وقال له : « هذه كلها اعطيها لك ان خررت ساجداً لي » حاول ان يجرب ملك الاجيال بحمّى مُلْك ارضي ، لكن الرب الذي صنع السماء والارض قد داس الشيطان . وهل يعد عظيماً انتصار الرب على الشيطان ؟ وهل اجاب الشيطان بغير ما علمك ان تجيبه؟ « مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد » .

ان اخلصتم لهذه الكلمات انتصرتم على شهوة العالم وتحررتم من عبودية شهوة الجسد والعين والطمع العالمي وفتحتم الباب امام المحبة لتدخل وتجعلكم تحبون الله اذ لا مكان لمحبة العالم مع محبة الله . من الافضل ان تتمسكوا بمحبة الله لتحيوا الى الابد لان الله خالد ولان الانسان يكون كما تكون محبته فان احببت الارض صرت ارضاً ، وان احببت الله ؟ ماذا اقول ؟ هل تصير الهاً ؟ لا اجرؤ ان اقول هذا ، من تلقاء نفسي ، ولكن لنسمع الكتاب المقدس « قد قلت انكم آلهة وبنو العلي كلكم »[1]. وعليه فان أردتم ان تكونوا

---

١) مزمور ٨١ : ٦

الهة وابناء العلي فلا تحبوا العالم ولا ما في العالم . من احب العالم ليست فيه محبة الاب لان ما في العالم شهوة جسد وعين وطمع عالمي وليس هو من الاب بل من العالم . العالم يزول مع شهواته. اما الذي يعمل مشيئة الله فالى الابد يحيا كما ان الله حي هو الى الابد .

المقالة الثالثة | النموّ الروحي

١ – « ايها الاولاد هذه هي الساعة الاخيرة » بهذه الكلمات يدعو يوحنا الاولاد الى الاسراع في النمو ، لانها الساعة الاخيرة. ليس عمرُ الجسد منوطاً بارادتنا ؛ وما من احد ينمو جسدياً ، ساعة يشاء ، ولا من يولد ، ساعة يشاء . وبالعكس فحيث ان الولادة منوطة بالارادة فالنمو ايضاً . ليس احدٌ يولد من الماء والروح الا بارادته ، ولذا فانه ينمو ، ان شاء ؛ وينقص ، ان شاء . وما النمو؟ النشوء والتقدم . وما النقصان ؟ التراجع والتخاذل . على من ادرك انه مولود ان يفهم انه ولدٌ وطفلٌ . وان يلصق فمه على ثدي امه ليكبر وينمو . الكنيسة هي امه وثدياها الكتب الالهية ، في عهديها القديم والجديد . منها يمتص حليب الاسرار التي تمّت في الزمن، لخلاصنا الابدي ، حتى اذا اغتذى منها وتقوّى اصبح قادرًا على ان يتناول الغذاء الذي هو « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله »[١] لنا حليبٌ هو المسيح الوديع ، ولنا

١) يوحنا ١ : ١

طعامٌ أشد هو هذا المسيح عينه المساوي للاب . انه يقوتك بالحليب ليشبعك خبزًا ، ان من لمس يسوع روحياً ، بالقلب ، ادرك انه مساوٍ للآب .

٢ – ولذلك حرّم على مريم ان تلمسه قائلاً لها: « لا تلمسيني لاني لم اصعد الى ابي »[١] .وما معنى هذا الكلام؟ سمح لتلاميذه بأن يلمسوه وابى ذلك على مريم . أليس هو القائل لذلك التلميذ المتردد في ايمانه « ضع اصبعك هنا وعاين يدي ؟ » وهل كان قد صعد اذ ذاك الى الاب؟ ولم حرَّمه على مريم قائلاً لها: «لا تلمسيني ، ولمَّا اصعدْ الى ابي » ؟ انقول انه خاف من ان تلمسه النساء ولم يخف من ان تلمسه الرجال ؟ ان لمسه يطهر كل جسد . وهل خاف من ان تلمسه النساء اللواتي اراد ان يكون ظهوره الاول لهن؟ او لم تكن النساء اولى المبشرات بقيامته بين الناس لكي تنهزم الحية بالمناورة عينها ؛ انما بحركة مضادة ؟ بالمرأة حملت الحية الى الانسان الاول خبر الموت وبالمرأة نُقلت ، الى الناس ، بشرى الحياة . ابى على الناس ان يلمسوه لكي يعلّمنا معنى اللمس الروحي . واللمس الروحي موقوفٌ على القلب النقيّ الطاهر . يلمس المسيح بقلب نقي مَنْ فَهِمَ انه مساوٍ للاب ؛ اما من لم يدرك ان المسيح اله فلن يتعدى الجسد الى اللاَّهوت . واي فضل لمن يعرف المسيح كما عرفه جلادوه وصالبوه ؟ فضل الانسان في ان يعرف ان الكلمة ، الله ، هو منذ البدء عند الله ، وان كل شيء به قد كون ؛ وعلى هذا النحو اراد ان يعرفه الناس ،حين قال لفيليبوس: « انا معكم منذ زمان طويل ولم تعرفني يا فيليبوس؟ من رآني فقد رأى الآب »[٢] .

١) يو ٢٠ : ١٧، ٢٧
٢) يوحنا ١٤ : ٩

٣ — ولئلا يتوانى احد عن النمو والتقدم فليصغ الى هذا التنبيه ، « ايها الاولاد هذه هي الساعة الاخيرة » استفيدوا ، اسرعوا ، انموا ، انها الساعة الأخيرة ، وبالساعة يعني هنا الأزمنة الأخيرة لأن سيدنا يسوع المسيح يجيء في الازمنة الاخيرة . وقد يقول بعضهم ، وكيف تكون الازمنة الاخيرة ؟ وكيف تكون الساعة الاخيرة ؟ نعلم ان المسيح الدجَّال يأتي اولاً ثم يعقبه يوم الدينونة . واستبق يوحنا تفكيرهم لئلا تطمئن نفوسهم الى ان الساعة الاخيرة لم تأتِ ، متذرّعين بأن المسيح لم يأت ؛ فقال لهم ، وهل يكثر المسحاء الكذبة الا في الساعة الاخيرة ؟

٤ — وماذا يعني بالمسحاء الكذبة ؟ وما هي العلامة على ان الساعة الاخيرة قد اتت ؟ كثرة المسحاء الكذبة . من بيننا خرج المسحاء الكذبة . انكم لترونهم . اجل من بيننا خرجوا . فلنبك على فقدهم ، انما هناك ما يعزي وهو انهم ليسوا من جماعتنا . نبت الهراطقة والمنشقون في محيطنا ، في الكنيسة نبتوا ، لكنهم خرجوا عنا لانهم ليسوا منا . وان لم يكونوا منا ، قبل ان يخرجوا ، فكثيرون يحيون معنا وهم ايضاً كذبة ؛ انّا نقول هذا ليحذر كل من هو في الداخل من ان يكون مسيحاً دجالاً . هوذا يصف المسحاء الكذبة . سنرى عمَّا قليل :

وعلى كلٍّ ان يتساءل عما اذا كان دجالاً .

ان هذه الكلمة تعني باللاتينية من هو هذا المسيح . لا كما يفهمها البعض بمعنى من يأتي قبل مجيء المسيح : وليس هذا هو معنى اللفظة لغوياً . انما يقصد بالمسيح الدجال من هو ضد المسيح ومناقض له ، والآن فانك تعلم وتدرك بعد هذا الشرح من هو المسيح

الدجال كما تدرك ان الخارجين هم وحدهم المسحاء الكذبة . ومن لم يكن دجالاً يلتصق بجسد المسيح ويصبح عضواً من اعضائه ولا يمكنها البتة ان تتنازع ؛ لان وحدة الجسد تقوم على تآلف الاعضاء وتناسقها . وماذا يقول الرسول في تعاون الاعضاء ؟ « ان تألم عضو تألم معه سائر الاعضاء ، وان أكرم عضو فرح معه سائر الاعضاء »[1] وعليه فان تقاسمت الاعضاء افراحها وآلامها دلّت على تعاونها وتآلفها التام ولم يعد فيما بينها مجال لمسيح دجال . ومع ذلك فانا نرى في جسد سيدنا يسوع المسيح طـال ما ان جسده يستلزم في الوقت الحاضر عناية خاصة ولن يبلغ كمال الصحة الا بعد قيامة الاموات — اناساً شبيهين ببؤر فساد ، ولا يتعافى الجسم تماماً الا اذا تنقى منها . تلك هي حال الاشرار في الكنيسة ، والكنيسة لن تتعافى الا بعد خروجهم منها . وعندما يفرز الجسد هذا الدمّل خارجاً يقول ، لقد كانت فيّ انما لم تكن مني . وماذا يعني بقوله « لم تكن مني ؟ » اي لم تقطع من لحمي بل كانت تثقـل عليّ بوجودها فيّ .

٥ — « من بيننا خرجوا » فلا تحزنوا لانهم ليسوا منا . ما هو برهانك ؟ « لو كانوا منا لاقاموا معنا » لاحظوا اذا ايها الاحباء من خلال ذلك كيف ان غرباء كثيرين عنا يشاركوننا في الاسرار ، انهم يقبلون العماد معنا ؛ ومعنا يقبلون ما يعرفه المؤمنون ، البركة والافخارستيا وكل مقدّس في الاسرار ويشاركوننا في المائدة المقدسة دون ان يكونوا معنا . امتُحنُوا فظهروا غرباء عنا اذ حين فوجئوا

---

١) راجع ١ كور ١٢ : ٢٦

بالامتحان وكأنه لفحة هواء طاروا بعيداً اذ ليسوا حنطة . اجل ، سوف يطيرون كلهم وهذا ما يجب ان نردده دوماً ، يوم الدينونة حين يذرّي السيد بيدره . من بيننا خرجوا ولكنهم ليسوا منا لانهم لو كانوا منا لاقاموا معنا .

تريدون ان تعرفوا ايها الاحباء كيف نضمن صحة قولنا ان الذين غامروا وخرجوا عنا ثم عادوا ليسوا مسحاء كذبة ولا ضد المسيح ؟ ان من لم يكونوا مسحاء كذبة لا يمكنهم ان يظلوا خارجاً. كل انسان بملء ارادته يكون اما مسيحياً دجالاً او في المسيح واما ان نكون من اعضاء المسيح او من بؤر الفساد في جسده . مَنْ تطوّر من حسَنٍ الى احسن يدخل في مصاف اعضاء المسيح ومن بقي في الشر فهو فاسد ودمّل حتى اذا خرج من الجسد يرتاح الجسد منه ومن ثقله . من بيننا خرجوا لانهم ليسوا منا . ولو كانوا منا لمكثوا معنا وقد كان يلزم ايضاح هذا الامر وهو ان الكل ليسوا منا . ولذا اضاف يوحنا قائلاً ، علينا ان نوضح ان ليس كل من هو في الداخل فهو منا . انهم لم يظهروا في بدء الامر انما بخروجهم ظهروا .

« لقد قبلتم وسم الروح لتظهروا نفوسكم » الوسم الروحي هو الروح القدس عينه الذي يعبر عنه بالوسم المنظور . ويوحنا قال ان من نال هذا الوسم يميز الاشرار والصالحين ولا يحتاج لان يعلّمه احد انما الوسم يعلمه ذلك .

« اليكم اكتب ، لا لانكم تجهلون الحقيقة بل لانكم تعرفونها وتعرفون ان الكذب لا يصدر عنها ؛ وعلى هذا النحو نعرف ان نميز المسيح الدجال . من هو المسيح ؟ انه الحق . هو عينه قال:

« انا الحق »[1] كما وان الكذب ليس من الحقيقة فالكذاب ليس من المسيح . ما قال قط ان بعض الكذب من الحقيقة وان بعض الاخر ليس منها . افهموا كلامه « لا تغتروا بنفوسكم ولا تضلوا ولا تستسلموا الى الاوهام اذ « لا كذب يصدر عن الحقيقـــة » اذاً ، كيف يكذب الدجالون والكذب على انواع .

من هو الكذاب ان لم يكن ذاك الذي ينكر ان يسوع هو المسيح ؟ يسوع يعني شيئاً والمسيح شيئاً آخر . وان كان يسوع المسيح مخلصنا شخصاً واحداً فيسوع هو اسمه الخاص ؛ وكما ان موسى وايليا وابراهيم هي اسماء خاصة كذلك لسيدنا يسوع اسم خاص ، اما المسيح فيدل على السر الذي يقوم به ، على نحو مـــا سمّي النبيُّ نبياً والكاهن كاهناً . والمسيح يعني الممسوح الذي به تمّ فداء الشعب الاسرائيلي بأسره . كان الشعب اليهودي ينتظر المسيح واذ كان متواضعاً لم يعرفه ، ولان الحجر كان وضيعاً ، عثروا به وعليه تحطموا : « وكبر الحجر وصار جبلاً عظيماً »[2] . وماذا يقول الكتاب؟ « من يعثر بهذا الحجر يتحطم ومن يسقط عليه الحجر يسحقه »[3] ، وعلينا ان ندرك معنى القول ان العاثر به يتحطم والساقط عليه هذا الحجر يسحقه . عثر به الناس لانه وضيع ، ولانه سوف يأتي بمجده للدينونة ؛ يسحق كل من يقع عليه ولكنه لن يسحق في مجيئه الثاني من لم يعثر به في مجيئه الاول . من لم يعثر به ، وضيعاً ، لن يخشاه ممجداً . بايجاز سمعتم ايها الاخوة ، ان من لم يعثر بـــه وضيعاً لن يخشاه ممجداً . للاشرار يكون المسيح حجر عثرة ؛ وكلامه مرّ في افواههم .

---

١) يوحنا ١٤ : ٦

٢) راجع دانيال ٢ : ٣٥

٣) لوقا ٢٠ : ١٨

٧ ــ اسمعوا وعوا، من الثابت ان المارقين من الكنيسة والمنقطعين عن وحدتها هم مسحاء كذبة. ولا احد يشك في ذلك لانه هو اشار اليهم بقوله: «من بيننا خرجوا وما كانوا منا، ولو كانوا منا لمكثوا معنا». وبالتالي، من لم يمكث معنا وان كان قد خرج من بيننا فهو مسيح كذاب. وبم يميز المسيح الكذاب عن سواه؟ بالكذب. ومن هو الكذاب سوى ذلك الذي ينكر ان يسوع هو المسيح؟ تأملوا ايها الاحباء في هذا السر العظيم. اصغوا الى ما اوحاه الينا الله، ربنا؛ واني اود لو تفهمونه مني.

هنالك اناس خرجوا من بيننا وصاروا دوناتيست فلنسألهم عما اذا كان يسوع هو المسيح؛ سرعان مـــا يقرّون بأن يسوع هو المسيح. اذا كنا نسمي دجالاً من ينكر ان يسوع هو المسيح فليس باستطاعة احد منا، لا نحن ولا هم، ان يسمي الآخر منا دجالاً، وكلانا نعترف بالشيء عينه.

ولذا فان لم يكن ممكناً لاحدٍ منا ان يعطي هذا اللقب للآخر فلا هم خرجوا من بيننا ولا نحن خرجنا من بينهم؛ وان كنا كذلك، فنحن واحد؛ وان كنا واحداً فلم المذبحان في مدينتنا هذه؟ ولمَ تنقسم الاسرُ على ذاتها ويختلف الازواج فيما بينهم؟ ولمَ نشترك في سرير واحد ونختلف على مسيح واحد؟ هوذا يوحنا يحذرنا من ذلك ويريد منا ان نقرّ بصحة ما يقول؛ فاما ان يكونوا هم قد خرجوا من بيننا واما نحن. معاذ الله ان نكون نحن قد خرجنا منهم وبيدنا صكّ ميراث الرب القائل: «اني سأعطيك الامم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك»[1]. بيدنا وحدنا، ميراث الرب، اما

---

١) مزمور ٢: ٨

هم فلا . انهم لا يشتركون مع الارض ولا مع العالم الـــذي اشتراه المسيح بدمه . لنا ، وحدنا ، السيد القائم من بين الاموات ، الذي ظهر للرسل الذين شكوا في قيامته ؛ وحين مكثوا في شكهم قال لهم ، كان يجب على المسيح ان يتألم ويقوم في اليوم الثالث ويبشر باسمه للتوبة ومغفرة الخطايا .. اين ؟ وكيف ؟ ولمن ؟ « في كل الامم ، ابتداء من اورشليم » انـّا لعلى يقين من ان الميراث واحد وكل من لم يكن مشتركاً بهذا الميراث فقد اصبح خارجاً .

٨ — ولكن ، لا تحزن « من بيننا خرجوا وما كانوا منا ، ولو كانوا منا لمكثوا معنا » واذ خرجوا من بيننا فهم مسحاء وان كانوا مسحاء كذبة فهم دجالون وان كانوا دجالين فانهم ينكرون ان يسوع هو المسيح ، وها انـّا نعود من جديد الى المشكلة . سلهم واحداً واحداً يجيبوا ، ان يسوع هو المسيح . ان هذه الرسالـــة تضايق عقلنا ، ولا شك انكم تدركون الصعوبة التي تعكر صفونا وصفوهم ان اشكل فهمها علينا . فاما ان نكون نحن واما ان يكونوا هم دجالين . هم ، يسموننا دجالين ونحن ننعتهم بالشيء عينه مع العلم ان هذه الرسالة قد أشارت الى المسحاء الدجالين بقولها ، كل من ينكر ان يسوع هو المسيح فهو مسيح دجال . وهيـّا بنا نبحث عمن ينكر هذه الحقيقة منتقلين من الكلام الى الاعمال .

لو سئلوا جميعاً لاجابوا بلسان واحد ان يسوع هو المسيح . فليصمت قليلاً لساننا لنطرح السؤال على الحياة . لو سألنا الكتاب المقدس نصاً يوضح لنا ان النكران يتم بالكلام والاعمال معاً لوجدنا حقاً عدة مسحاء كذبة يعترفون للمسيح بلسانهم ويبتعدون عنه في حياتهم . واين نجد ذلك النص ؟ هوذا الرسول يتحدث عن امثالهم

فيقول ، يعترفون لله في اقوالهم ويبتعدون عنه في اعمالهم . اولئك هم المسحاء الكذبة ، مسيح دجال هو كل انسان ينكر المسيح . اني لا اصغي الى ما يرن في الاذن بل انظر الى الواقع الحياتي او نبحث عن الاقوال حيث تتكلّم الاعمال ؟؟

وأيّ شرير يأبى ان يتكلم صلاحاً ؟ وماذا يقول الرب لامثال هؤلاء ؟ ايها المراؤون ، كيف تنطقون بالصلاح وانتم اشرار ؟ في اذني يرن كلامكم وانا انظر الى افكاركم ، فيها ارى رياءكم وانتم تتظاهرون بالثمار . اني اعرف اين ابحث عما اريد ، فاني لا اجني من العوسج تينا ومن الشوك عنباً . تعرف الشجرة من ثمارها . وما ابلغ كذب المسيح الدجال الذي يعترف بلسانه ان يسوع هو المسيح وينكره باعماله . كذاب هو اذ يقول شيئاً ويأتي آخر .

لو اضطررنا ايها الاخوة الى ان نسأل الواقع لما وجدنا فقط ان عدة مسحاء قد خرجوا ؛ بل نجد ان كثيرين منهم لم ينكشف امرهم ولا خطوا خطوة الى الخارج . كل ما في الكنيسة من حانقين ومرائين واثمة ، كل ما فيها من سحرة وزناة وسكارى ومرابين وسماسرة وكل ما لا يمكن حصرهم الان ؛ اجل ، كل هؤلاء يناهضون تعاليم المسيح ويناهضون المسيح ، كلمة الله . وكل ما هو ضد كلمة الله فهو للمسيح الدجال لان المسيح الدجال هو هذا المسيح. وهل تريدون ان تعرفوا مدى مقاومتهم للمسيح ؟ يأتون احياناً شرًا فينبهون عنه ، ولما كانوا لا يجرؤون على التجديف على المسيح فانهم يجدفون على خدامه الذين يحذرونهم . واذا حاولت ان تبين لهم انك تنطق بكلام المسيح لا بكلامٍ من عندك سعوا جهدهم لاقناعك بان الكلام الذي به تنطق هو خاص بك لا بالمسيح .

واذا ما اتضح انك تنطق بكلام المسيح هاجموا المسيح عينه وراحوا ضده قائلين ، كيف ؟ ولماذا صنعنا هكذا ؟ اليس هذا هو الكلام اليومي الذي يتفوّه به من يقتنعون بخطإهم ؟ انساقوا الى الاثم بارادة شريرة فراحوا يتهمون خالقهم ، وهتف بهم من السماء خالقهم لانه هو ذاته خلقنا ، مَنْ خلَقَنا من جديد — وقال ، وماذا صنعت اذ خلقتك ؟ لقد صنعت الانسان ولم اخلق البخل وخلقت الانسان ولم اخلق القرصنة وخلقت الانسان ولم اخلق الزنى وسمعتم ان اعمالي تسبحني . هذا النشيد عينه تعالى من افواه ثلاثة اطفال فحفظهم من النار . اعمال الرب تسبحه ، يسبحه البحر والارض والسماء وما فيها ويسبحه الملائكة والكواكب والنجوم . سمك البحر وطير الجو وزحافات الارض كلها تسبح الرب . فهل سمعت ان البخل والسكر والفجور والميوعة الاخلاقية تسبح الرب ؟ وكل ما لم تسمع انه يسبح الرب فالرب لم يصنعه . اصلح ما صنعت انت لينجو ما صنعه الله فيك . اذا ابيت واحببت خطاياك وعانقتها بشغف فانت ضد المسيح ، وداخلاً كنت ام خارجاً فانت هشيم وحسب . ولمَ لا تكون في الخارج ؟ لانك تجد ريحاً موآتية لك .

٩ — لقد انجلت هذه الامور ايها الاخوة فلا يقولن احد ، اني لا اكرم المسيح بل الله اباه . « ومن ينكر الابن لا يعرف الابن ولا الاب ومن يعترف بالابن يعترف بالاب والابن » . اليكم يتحدث ايها الحنطة ؛ اما الذين هم تبن وقش فليسمعوا او فليصيروا الى حنطة . على كل ان يفحص ضميره حتى اذا كان للعالم خليلاً يتغير ويصبح صديق المسيح خشية ان يكون مسيحاً دجالاً . وان قال له احدهم انك مسيح دجال غضب واعتبر كلامه اهانة

له ولربما هدده بالشكوى . فله يقول المسيح : صبراً . ان افتروا عليك افرح معي ؛ لاني انا كذلك يفتري علي المسحاء والدجالون وان قالوا عنك الحقيقة فاحفظ ذلك في قلبك وان خفت من ان يدعوك دجالاً فزدْ خوفاً من ان تكون كذلك .

الوسم الروحي يساعد على هذه المعرفة الباطينية

١٠ — اما انتم الذين سمعتموه فليثبت فيكم ما سمعتم حتى اذا ثبت فيكم ما سمعتموه ، منذ البدء ، وثبتم انتم في الاب تحقق اذ ذاك الوعد الذي صنعه لنا . انك تبغي مكافأة وتقول احفظ ما سمعته ، منذ البدء ، واليه استمع الاخطار والاتعاب والتجارب هذه كلها احتملها وفاء له . واية مكافأة منه انتظر ؟ واية ثمرة اجني ؟ وما سوف يعطينيه ، انا المجاهد في هذا العالم وفي خضم من التجارب؟ اني لا ارى راحة على هذه الارض ، ذكر الموت يضايقني ينحل الى فساد شيئاً فشيئاً يهيب بي الى امور الارض ومع ذلك فـــاني اتحمَّل كل شيء ، وفاء مني لما سمعته منذ البدء ثم اقول لالهي : بسبب كلمات شفتيك حفظت سبلاً صعبة ، فماذا تكون مكافأتي؟ اسمع ولا تضعف ، فان ضعفتَ في التجارب فليكن وعد المكافأة حافزاً لك . ومن الذي يعمل في الكرم ولا يفكر بالربح الذي ينتظره ؟ ان نسي المكافأة تراخت يداه في العمل ومن يذكر الجزاء الموعود ثبت في عمله مع العلم ان وعد الانسان خداع . كم يجب عليك ان تنشط في حقل الرب عندما تعدك الحقيقة التي لا وريث لها ، ولا تموت ، ولا تنسى من وعدته ؟ ما هو هذا الوعد؟ فلنر ماذا وعدت به ؟ اذهباً يحب الناس بهذا المقدار على الارض ام فضة ؟ امتلكات يشتريها الناس بذهب يعبدونه ؟ أاراضٍ جميلة

وقصور فخمة أم خدم كثيرون ومواش لا عدّ لها؟ كلا، ليست هذه هي المكافأة التي يعدنا بها كي نواظب على عملنا. وما هي اذاً؟ انها الحياة الابدية. لقد سمعتم فهتفتم بفرح، احبوا المكافأة التي سمعتموها لتتحرروا من اتعابكم في راحة من حياة الابد. ان الله يعدكم بالحياة الابدية ويهددكم بالنار الابدية. للذين عن يمينه يقول: «تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعد لكم منذ انشاء العالم» وللذين عن يساره يقول: «اذهبوا الى النار الابدية المعدة للشيطان وملائكته». ان لم تحب ما يعدك به فخف مما به يهددك.

١١ – اذكروا ايها الاخوة ان المسيح وعدنا بالحياة الابدية وحق هو ذاك الوعد. هذا ما اردت ان اقوله لكم بشأن من يحاولون ان يخدعوكم. احـــذروا الذين يخدعونكم خداعاً يؤدي بكم الى الموت واطلبوا وعد الحياة الابدية. وبم يستطيع العالم ان يعدكم؟ واياً كان وعده فقد يموت غداً الشخص الذي يعد؟ وبأي وجه تلقى، خارجاً من هذا العالم، ذاك الباقي الى الابد؟ انما يهددني رجل قوي؛ والى الشر يدعوني. وبم يهدد؟ أبالسجن يهدد والنار والعذاب والحيوانات الضارية؟ أهي نار ابدية؟ ارتعد امام تهديدات القدير واحبَّ وعوده، اذ ذاك يفقد العالم كله قيمته؛ وسواء أهدّد ام وعد.

ذلك هو كلامي اليكم بشأن من يخدعونكم لتعلموا انكم نلتم الوسم، وليثبت فيكم الوسم الذي منه قبلتموه. ان سر الوسم هو قوته الخفية وهو الروح القدس، والوسم الخفي هو هذه المحبة التي تصبح فيه كالاصل، اياً كان قابلُها، فلا تقوى الشمس المحرقةان تجففها. وكل ما هو متأصل جيداً يغتذي من حرارة الشمس ولا ييبس.

١٢ — وانتم لا تحتاجون لان يعلمكم احد لان وسم الروح عينه هو يعلمكم كل شيء. وماذا نعمل نحن اذاً ايها الاخوة في تعليمنا لكم؟ ان كان وسم الروح يعلمكم كل شيء فتعبنا اذاً باطل، ولمَ الصراخ؟ حسبنا ان نضع قلوبكم تحت وسمه ليعلمكم كل شيء. اني اطرح سؤالاً على نفسي ثم على الرسول — فليتنازل وليسمع هذا المسكين الذي يبحث عن جواب لديه — واني اطرح السؤال على يوحنا قائلاً، وهل يتمتع بالوسم اولئك الذين تتحدث اليهم؟ انت قلت، وسمه يعلمكم كل شيء. ولم هذه الرسالة اذاً؟ ولم التعليم والتثقيف واعطاء المثل الصالح؟

ان في الامر لسراً عظيماً، ايها الاخوة، يجدر التأمل به؛ صوت كلامنا يطرق مسامعكم، والعلم في الداخل، لا تظنوا ان انساناً يتعلم شيئاً من انسان آخر. بصوتنا نسترعي انتباهكم ولكن ان لم يكن في الداخل من يعلّمكم فعبثاً نناديكم. اتريدون برهاناً على ما نقول؟ صحيح انكم سمعتم كلكم هذه العظة. وكم هم الذين يخرجون من هذه القاعة دون ان يفقهوا منها شيئاً؟ انا تكلمت الى الجميع، لكن الذين لم يتكلم الوسم اليهم من الداخل ولم يعلمهم الروح القدس فهؤلاء كلهم يخرجون دون ان يفقهوا شيئاً. كل تعليم خارجي اشبه بالتوجيه والمساعدة. في السماء يجلس من يعلم القلوب ويثقفها، فضلاً عن انه قال في انجيله: «لا تدعوا لكم في الارض معلماً لان معلمكم واحد وهو المسيح»[١]. من الداخل، حيث لا يصل انسان، يخاطبكم لانه وان كان احدٌ يقف الى جانبك فليس في قلبك احد. ولا يجوز ان يخلو قلبك من احد

---

١) راجع متى ٢٣: ٨و٩

بل فليكن المسيح في قلبك وليكن وسمه في قلبك لئلا يكون ، في وحشة ، قلبك العطشان ، محتاجاً الى ينابيع ليروي منها غليله . المعلم الباطني وحده يعلم . المسيح يعلم وبوحيه يعلم . وحيث لا نجد له وسماً ووحياً فباطلاً ترن الكلمات من الخارج .

كلماتنا من الخارج ايها الاخوة هي للسامع كالبستاني للشجرة ، في الخارج يعمل ويسقي ويكد ، واياً كان عمله من الخارج فهل هو الذي يكوّن الثمار ؟ اهو الذي يكسو الاغصان العارية بالاوراق ؟ ومن ذا الذي يعمل هذا كله ؟ هوذا الرسول يشبه نفسه بالبستاني فاصغوا اليه وتأملوا في نفوسكم ثم استمعوا الى المعلم الباطني يقول : « انا غرست وافلو سقى ولكن الله انبت ، فليس الزارع اذاً شيئاً ولا الساقي بل الله الذي ينمي » .

واني بدوري اقول لكم هذا القول عينه ، سواء اغرسنا نحن ام سقينا فلسنا شيئاً ، بل الله هو الذي ينمي ، وبكلام آخر ، ان وسمه يعلّمكم كل شيء ...

المقالة الرّابعة | مَعْـرَكةُ الـرُّوح

١ — تذكرون ايها الاخوة ما انتهينا اليه امس ، في شرحنا؛ وهو انكم لا تحتاجون لان يعلّمكم احد؛ فالروح عينه هو يخبركم بكل شيء. اني لواثق من انكم تذكرون الشرح الذي اعطيتكموه. من الخارج تطرق كلماتي آذانكم؛ كالعمال الذين يُعنون من الخارج بشجرة في بستان؛ دون ان يتمكنوا من اعطائها نمواً، او من تكوين الثمرة فيها. اما الذي خلقكم وافتداكم ودعاكم اليه، هو الساكن فيكم، بالايمان، وبروحه القدوس، فان لم يكلمكم، باطناً، عبثاً ترن كلماتي في آذانكم. اين هو الدليل؟ كثيرون يسمعون؛ انما لا يقتنعون كلهم بما يقال لهم؛ لكن الذين يكلّمهم الله، من الداخل، فاولئك يقتنعون. وهو يوجه كلامه الى الذين يقدمون له محلاً، دون سواه؛ ويقدم محلاً لله مَنْ أبى ان يعطي الشيطان الذي يريد السكنى في قلوب الناس، ليحدثهم عن كل ما يغري ويغوي. وماذا قال الرب يسوع؟ «طُرد اركون

هذا العالم خارجاً »[1] . ومن اين ؟ هل طرد من السماء والارض ؟ وهل اخرج من العالم كله ؟ كلا ، طرد من قلوب المؤمنين ليحل محله المخلص وليقيم فيها بعد ان طرد منها اركون العالم وذلك لان الفادي هو الخالق . يهاجم الشيطان من الخارج ؛ ولن يستطيع ان يتغلب على الملك الباطني . انه يحاصر ويهاجم ، مستعملاً تجارب مختلفة ؛ انما لا يستسلم اليه من يسمع ، في باطنه ، صوت الرب وصوت الروح الذي حدثتكم عنه .

٢ — وحقيقي هو هذا الوسم ؛ وبكلام آخر فان روح الرب عينه الذي يعلّم الناس لا يستطيع ان يكذب . فامكثوا في هذا الوسم ، وفقاً لتعليم الرب لانه صادق . والان ايها الابناء ، امكثوا فيه حتى تكون لنا دالة عليه يوم ظهوره فلا نخجل منه عند مجيئه . ترون ايها الاخوة ، انا نؤمن بيسوع الذي لم نره . بشرنا به من رأوه ولمسوه وسمعوه يتكلم . وهو ارسلهم ليعلموا الجنس البشري الحقيقة ؛ ولم يبادروا تلقائياً الى هذا النهج . اين ارسلهم؟ سمعتم الجواب من الانجيل الذي قال « اذهبوا وبشروا كل خليقة تحت الشمس »[2] وارسل تلاميذه الى كل مكان فشهدت لهم العجائب والآيات ليثق الناس بكلامهم لانهم يقولون ما رأوا وسمعوا . وانا لنومن بمن لم نره وننتظر الآتي . فالذين ينتظرونه بايمان يفرحون بمجيئه ؛ واما الذين لم يومنوا فيخجلون عند مجيء من لم يروه الان . اذ ذاك لن يكون خجلهم ليوم ، وحسب ، كمن أخذوا في خطيئة وتعرضوا لاهانة الناس بل سوف يضعهم خجلهم في اليسار ليسمعوا اللعنة القائلة : « اذهبوا الى نار الابد المعدة للشيطان وملائكته »[3]

---

١) يوحنا ١٢ : ٣١ ٢) مرقس ١٦ : ١٥ ٣) متى ٢٥ : ٤١

فلنحفظ اذاً كلامه لئلا نخجل عند مجيئه وهو القائل في انجيله للذين آمنوا به « ان حفظتم كلامي كنتم لي تلاميذ » . وكأني بهم يقولون وما هو الثمن ؟ « تعرفون الحق والحق يحرركم »[1] انا نرجو الخلاص ولا نتمتع به فعلياً ؛ لانا لا نمسك بما قد وعدنا به ؛ بل الآتي اياه نرجو. امينٌ هو الواعد وصادقة مواعيده ؛ شرط الا تتراجع انت ؛ انتظر الوعد لان الحقيقة لا تعرف الغش ، لا تكن كذاباً كأن تقولَ شيئاً وتعملَ شيئاً آخر . احفظ ايمانك ليحفظ وعده لك . وان لم تحفظ ايمانك تخدع ذاتك لا ذاك الذي وعدك.

٣ — « ان كنتم تعرفون انه بار فاعلموا ان كل من يعمل البر مولود منه . » برّنا ، في الوقت الحاضر ، ينبع من الايمان ، والبر الكامل لا وجود له الا في الملائكة ، وفي الملائكة يكاد ان يكون ظلاً لما هو في الله . وان وجدنا براً في الانفس والارواح التي خلقها الله فأحر بنا ان نجده في الملائكة والقديسين والصالحين الذين ما ابتعدوا لحظة واحدة عن الله ولا سقطوا قط في خطيئة كبرياء ؛ بل ظلوا دوماً ثابتين على التأمل بكلمة الله وما وجدوا عذوبة الا عند خالقهم . في هؤلاء نجد البر كاملاً اما عندنا فيبدأ البر مع الايمان كما يشاء الروح .

لقد سمعتم قول صاحب المزامير « باشروا في الاعتراف لله»[2] ، باشروا . يبدأ البر فينا حين نعترف بخطايانا ، ومتى القيت سلاحك في الدفاع عن خطيئتك يبدأ البر فيك ويتكامل اذا لم يلهُ قلبك بشيء آخر تعلّقه ؛ حين تبتلع الغلبة الموت وتكفر بكل شهوة

---

١) يوحنا ٨ : ٣١–٣٢

٢) مزمور ١٤٦ : ٧

وتخلص من محاربة اللحم والدم وتنال اكليل المجد وتنتصر على العدو ، اجل ، اذ ذاك فقط يصبح برك كاملاً . اما في الوقت الحاضر فلا نزال نجاهد في الميدان حيث نَضربُ ونُضْرَبُ ، ولكن ، لمن النصر ؟ ننتظر . ينتصر من كان يضرب ولا يعتمد على قواه وحدها بل على الله الذي يحثّه على المعركة . الشيطان وحده يحاربنا ، اما نحن فاذا كان الله معنا فسوف ننتصر على الشيطان ، ان كنت تحارب وحدك هذا الشيطان فلسوف يتغلب عليك لانه عدو خبير بفنون الحرب . وكم قد احرز من انتصارات في هذا الميدان . تأمل كيف هزمنا . القى بابوينا الاولين خارج الفردوس الارضي لكي نولد ملقّحين بجرثومة الموت . وما العمل تجاه عدو بلغت خبرته الحربية هذا الحد ؟ فلنستعَنْ بالقدير عليه وليسكن فيك من لا يُقهرَ فتَقهرُ من تعوَّد ان يقهر . ولكن ، من هم اولئك الذين كان يقهرهم ؟ من لا يسكن الله فيهم . تعلمون ايها الاخوة ان آدم قد احتقر في الفردوس شريعة الله وثار عليه واراد ان يكون سيد نفسه وابي الخضوع لارادة الله فوجد نفسه عارياً من السعادة ، عرضةً للموت . لقد تدرب انسان الموت فانتصر على الشيطان ، من فوق مزبلته ، حيث كان يأكله الدود : في شخص ايوب انتصر آدم نفسه على الشيطان لان ايوب آدمي . ان آدم الذي طرد من الفردوس قد هزم الشيطان من على مزبلته . في الفردوس استمع الى اقتراحات المرأة ، رسول الشيطان ، وفوق المزبلة قال لحواء ، « كامرأة » جاهلة تتكلمين »[1] . هنا ، ألقمَها جواباً وهناك اصغى اليها . في سعادته اصغى اليها وفي بؤسه تغلب

---

١) ايوب ٢ : ١٠

عليها . ولذا فاسمعوا ايها الاخوة تتمة هذه الرسالة التي يحثنا فيها على قهر الشيطان دون الاتكال على انفسنا اذ يقول ، ان كنتم تعرفون انه بار فاعلموا ان كل من يعمل البر مولود منه ، من الله مولود ، اي من المسيح . بكلامه هذا « مولود منه » يشجعنا يوحنا نحن الذين ولدنا من الله وحسبنا هذا كي نصبح كاملين .

٤ ــ المسيحي هو ابن الله .

اصغوا الى ما يلي : انظروا ايـّة محبة منحنا الاب حتى ندعى ونكون ابناء الله لان من يـُدعـَون لله ابناء وليسوا على شيء من ذلك لا يفيدون شيئاً من لقب فارغ . كثيرون هم الاطباء اسماً ولا يعرفون ان يعالجوا مريضاً . كثيرون هم الحراس وينامون طوال الليل . وكذلك كثيرون هم الذين يـُدعون مسيحيين وليسوا فعلاً مسيحيين ، انهم ، واقعياً ، في حياتهم واخلاقهم وايمانهم ورجائهم ومحبتهم غير مسيحيين . وماذا يقول النص الذي سمعتموه ايها الاخوة؟ «انظروا اية محبة منحنا الاب حتى ندعى رنكون ابناء الله وان كان العالم لم يعرفنا فلأنه لم يعرفه وبما انه لم يعرفه لهذا لا يعرفنا . العالم بأسره مسيحي وهو بأسره وثني لان فيه مسيحيين وفيه وثنيين ولا تعارف بين الفريقين . وكيف لا يتعارفون ؟ انهم يسخرون ممن يعيشون عيشة مقدسة . اسمعوا جيداً لئلا يكون منهم بينكم . ان كـــان احدكم يعيش بتقوى فيحتقر ما للعالم ويمتنع عن الذهـــاب الى المسارح ويأبى ان يسكر برغم العادة المرعية التي تجري وكأنها من امور الدين ومما يزيد في خطورتها انه يرفض ان يتدنس في بعض الايام بمناسبة عيد شفيع او قديس لهذا يجلب عليه هزءهم وسخريتهم لانهم يأتون تلك الامور القبيحة والمشينة . وهل يسخرون منه لو

عرفوه ؟ ولمَ لم يعرفوه ؟ لان العالم لم يعرفه ؟ ومن هو العالم ؟ العالم بسكانه كالبيت بسكانه. اشياء حدثناكم عنها غالباً وها نحن نعود مجدّداً نحدثكم عنها. اذا اتخذتم العالم بمعناه السيئ اردتم به محبيه، لانهم ان احبوه سكنوا فيه وان سكنوا فيه استحقوا ان يحملوا اسمه. العالم لا يعرفنا لانه لا يعرف الله. جاء ربنا يسوع المسيح الى العالم وهو الاله المتجسد ومع انه لبس ضعفنا فلم يعرفوه. ولمَ؟ لانه كشف للناس عن خطاياهم، وهم اذ كانوا يعشقون خطاياهم، وبها يتنعمون، لم يعرفوا الله. لقد احبوا ما حملتهم اليـه الحمّى فتحدوا الطبيب واحتقروه.

٥ — اين نحن من هذا كله؟ لقد ولدنا منه: ولكن بما اننا لا نزال في مرحلة الرجاء فهوذا يوحنا يقول لنا، نحن اليوم ابناء الله. منذ اليوم؟ وما معنى الرجاء ان كنا قد صرنا ابناء الله؟ ثم يقول، اما ما سوف نصير اليه فهذا امر لا يزال غامضاً. ومـا صيرورتنا الا ان نصبح ابناء الله؟ اسمعوا التتمة، انا نعرف انه عندما يظهر سنكون شبيهين به لانا سوف نراه كما هو. فلنفهم ايها الاحباء، وهذا سر عظيم، انا نعرف انه حين يظهر سوف نكون شبيهين به لانا سوف نراه كما هو. وما تعني لفظة كما هو «تعرفون من هو الذي نسميه هكذا، انه الكائن ولسنا نسميه بهذا الاسم وحسب بل الذي حقاً هو، انه ثابت وازلي، باق الى الابد، فلا يتغير ولا يفسد البتة ولا ينمو لانه كامـل ولا ينتهي، لانه ازلي. ومن هو؟ «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»[1] في هذا النوع من الوجود لا يستطيع

---

١) يوحنا ١ : ١

الاشرار ان يروا المسيح صورة الله ، كلمة الله ، ابن الله الوحيد ، مساوياً له في الجوهر . انما بصفته الكلمة المتجسد يستطيع الاشرار ان يروه هم ايضاً ، وهم ايضاً يرونه في يوم الدينونة وكما جاء وحُوكم سوف يأتي ليحكم ، في صورة الانسان عينها انما اله ؛ لانه قيل « ملعون كل من يتكل على انسان »[١] كانسان جاء ليدان وكانسان سوف يأتي ليدين . واذا لم يكن باستطاعة احد ان يراه فكيف يقول الكتاب : « سوف يرون من طعنوه » ؟[٢] لقد قيل عن الاشرار انهم سوف يرون ويخجلون ، وكيف لا يرى الاشرار حين يضع الاخيار عن يمينه والاشرار عن يساره ؟ وسوف يقول للذين عن يمينه : « تعالوا يا مباركي ابي خذوا الملك المعد لكم » وللذين عن يساره « اذهبوا الى النار الابدية »[٣] انهم يرون ، ولكن ، صورة العبد لا صورة الله . ولماذا ؟ لانهم اشرار . قال السيد نفسه ، الطوبى لأنقياء القلوب لانهم يرون الله ، اذن ؟ سوف نراه ايها الاخوة كما « لم تره عين ولا سمعت به اذن ولا خطر على قلب انسان »[٤] ، انها لرؤية تفوق ما في الارض باسرها من جمال وتفوق بسناها الذهب والفضة ومنظر الاحراج والبراري والبحر والجو والشمس والقمر والكواكب والملائكة . حقاً ، انه لجمال يفوق كل جمال لانه مصدر كل جمال .

٦ ــ وماذا نصير حين نراه ؟ وبم وعدنا ؟ انا نصبح شبيهين به لانا سوف نراه كما هو . اللسان ينطق بما استطاع والباقي من

---

١) ارميا ١٧ : ٥

٢) يوحنا ١٩ : ٣٧

٣) متى ٢٥ : ٣٤، ٤١

٤) ١ كور ٢ : ٩

نصيب القلب . ولمَّا اراد يوحنا ان يجد تشبيهاً ، ماذا استطاع ان يقول فيه؟ وماذا نستطيع ان نقول ، نحن ، معشرَ الناس ، في هذا المضمار . وشتان ما بين استحقاقاتنا واستحقاقاته ؟

لنعد الى وسم المسيح هذا الذي يعلمنا في الباطن ما لا نستطيع ان نعبر عنه ظاهراً . وطال ما انكم عاجزون عن رؤيته فمن واجبكم ان تقنعوا بالرغبة في ان تروه . وحياة المسيحي الصالح ، باسرها ، رغبة مقدسة . انك تصبو ، ولا ريب ، الى رؤية ما لا تراه الان. انما الرغبة تؤهلك ، حين يأتي ما يجب ان تراه ، لان تمتلئ منه. لنفرض مثلاً انك تريد ان تملأ وعاء على شكل جيب وتعلم ان ما تفرغه فيه اكبر حجماً من الجيب . اذ ذاك تشد بالوعاء من جميع اطرافه ، كيساً كان ام جيباً ام اي شيء آخر ؛ انك تقدر الوعاء وحجمه الضيق والشيء المنوي افراغه فيه وكبره وحين تشد به من جميع اطرافه تزيد من سعته . تلك هي حالنا مع الله ، انه يدع الانسان ينتظر ليوسع شوقه وبهذا يؤهله لان يستوعب اكثر. ليكن فينا شوق ايها الاخوة لانه من اللازم لنا ان نمتلئ. وسّع بولس محتوى نفسه ، فامسك بالمستقبل ولهذا قال « لا كأني بذلك قد فزت او بلغت الى الكمال » انا لا احسب ايها الاخوة اني قد ادركت » .

وماذا تعمل اذاً في هذه الحياة ان لم تكن قد حصلت شيئاً؟ « امر واحد اجتهد فيه وهو ان انسى ما ورائي وامتد الى ما امامي فاسعى نحو الامد لاجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع »[١]. قال انه يتوق وانه يمتد بكل قواه نحو ادراك الهدف وذلك لانـــه

١) فيلبي ٣ : ١٣، ١٤

ادرك في نفسه عجزًا عن بلوغ ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر. سنّة حياتنا هي ان نتمرن على الشوق. بقدر ما نسلخ اميالنا عن العالم ومحبته، بقدر ذلك نزداد تمرساً بالشوق الصالح الذي فينا. لقد قيل سابقاً، افرغ اولاً الوعاء الذي تريد ان تملأه. فان اردت ان تمتلئ صلاحاً فافرغ ما في قلبك من شر. لنفرض ان الله يريد ان يملأك عسلاً وانت طافح بالخل، فاين يضع العسل؟ على الانـاء ان يفرغ مما فيه وينظف، عليه ان ينظف ولو استلزم تنظيفه تعباً وعناء وفركاً ليصبح اهلاً للحقيقة. لو اسأنا تسمية الحقيقة فسميناها ذهباً او خمرًا ولو اطلقنا اسماً على ما لا يمكن ان يحمل اسماً ومهما شئنا ان نسميها فهي الله. وحين نقول الله، ماذا نعني؟ ألى هذين المقطعين من هذه الكلمة نتوق؟ كل ما يمكننا ان نقوله يظل دون الحقيقة. فلننبسط اليه حتى اذا جاء يملأنا، فنصبح له شبيهين، عندما نراه كما هو.

٧ — «وكل من كان فيه هذا الرجاء» ترون يوحنا يقيمنا على الرجاء وترون بولس يلتقي اخاه على صعيد الرسالـة حين يقول: «بالرجاء نخلص لان الرجاء الذي يُرى ليس رجاء، وكيف يمكن الانسان ان يرجو مـا يرى. ان كنا اذًا نرجو ما لا نراه فبالصبر نرجو»[1]؛ الصبر يقوي الشوق. ابق لانه باقٍ وواظب على السير حتى تبلغ الهدف لان ما تتوق اليه لن يهرب من امامك. تأملوا ملياً. ومن كان يرجو هكذا فلينقِّ نفسه كما هو عينه نقي. تأملوا كيف يحترم الحرية حين يقول، فلينق نفسه. ومن ذا ينقينا سوى الله؟ ان الله لا ينقيك رغماً عنك. وعليه حين ترتبط، حرًا،

---

١) رومة ٨: ٢٤،٢٥

بالله ، تتنقى . وانك لتتنقى ، لا من تلقاء نفسك ، بل بالله الذي يحل فيك ؛ . وطال ما ان لحريتك في هذا الموضوع سهماً فلك انت ايضاً كذلك . نصيبك يوجب عليك ان تردد مع صاحب المزامير « كن عوني ولا تتركني »[1] فان تقل « كن عوني » تعمل شيئاً والا فكيف يساعدك ؟ .

٨ — « من يصنع الخطيئة ، شراً يصنع » فلا يقولن احد ، الخطيئة شيء والشر شيء آخر . ولا يقولن احد ، خاطئ انا ولست شريراً . من يصنع الخطيئة شراً يصنع . شر هي الخطيئة . فماذا نصنع بخطايانا وآثامنا ؟ اصغِ الى يوحنا يقول ، انتم تعلمون انه ظهر ليبيد الخطيئة وليس فيه خطيئة . ان من لم تكن فيه خطيئة جاء ليبيد الخطيئة . ولو كانت فيه خطيئة لوَجَبَ ان ترفع عنه لا ان يرفعها هو بنفسه « ومن لا يمكث فيه لا يخطأ » وطال ما يقيم فيه فلا يخطأ ومن يخطأ فلا يراه ولا يعرفه . انها لمشكلة . من يخطأ لا يراه ولا يعرفه . ولا عجب . انّا لم نره لكنا سوف نراه ولم نعرفه لكنا سوف نعرفه . انّا نؤمن بمن لم نره . انقول ، بالايمان عرفناه معرفة غير حسية ؟ ولكن ، بالايمان رأيناه وعرفناه . واذا لم يكن الايمان نيّراً فكيف يدعونا مستنيرين ؟ من الايمان ينبعث نور ومن البصر نور آخر . والان وطال ما نسير في هذه الحياة فعلى نور الايمان نسير لا على نور البصر . وبالايمان نتبرر لا بالبصر ، ويكمل برنا حين نشاهد باعيننا . والآن فلنحافظ على برنا الذي هو من الايمان « لان البار بالايمان يحيا »[2] وفقاً لقول

---

١) مزمور ٢٦ : ٩

٢) راجع رومية ١ : ١٧

الرسول . ومن يثبت فيه لا يخطأ ومن يخطأ لا يراه ولا يعرفه . وكل من يخطأ لا يؤمن لانه لو آمن لما خطئ بقدر ما يتعلق ذلك بايمانه.

٩ — ايها الابناء لا يضلّكم احد . من يعمل البر فهو بار كما ان ذاك هو بار . ألأننا ابرار كما هو بار يحق لنا ان نتصور انفسنا انّا مساوون لله ؟ فلنفهم معنى لفظة « كما » منذ برهة قال يوحنا « به يطهر نفسه كما انــه هو طاهر » وهل يراد بذلك ان طهارتنا مساوية لطهارة الله وشبيهة بطهارته ، كل الشبه ، وان برّنا هو كبره ؟ ومن يجروء على هذا الكلام ؟ لا تستعمل لفظة «كما» في اللغة العادية لتدل على المساواة. لنفترض ان منظر هذه الكنيسة يوحي الى شخص ان يبني كنيسة اخرى اصغر منها انما بالنسبة عينها حتى اذا كان مثلاً طول هذه يساوي ضعفي عرضها فطول تلك يكون ضعفي عرضها اذ ذاك يمكننا ان نقول ان الكنيسة الثانية هي كالأولى مع ان قياس هذه مائــة ذراع وقياس تلك ثلاثون فتكون الثانية شبيهة بالأولى ، كالأولى ، ولكن غير مساوية لها . انكم ترون ، ان لفظة « كما » لا تعبر دوماً عن المساواة والمشابهة . خذوا مثلاً وجهاً بشرياً تروا فرقاً كبيرًا بين ما هو عليه في الواقع وبين صورته في المرآة . الوجه في الصورة والوجه في الجسم . هنا جسد حقيقي وهناك صورة مقتبسة . وماذا نقول ؟ انا نقول بوجود اعين هنا كما هناك وبوجود آذان هنا كما هناك . تختلف الحقائق انما لفظة « كما » تعبر عن الشبه .

ونحن كذلك على صورة الله انما تختلف هذه الصورة عن تلك التي للابن المساوي للآب . ولو لم نكن نحن على طريقنا ، مثله لما قلنا انّا شبيهون به . اذًا ، فلينقّنا كما هو نقي . نقاوته منذ

الازل اما نقاوتنا نحن فبالايمان . اننّا ابرار كما هو بار في ازليته التي لا تتغير . اما نحن فابرار بايماننا بمن لم نره ، راجين ان نراه يوماً . وحين يكتمل برنا ونتساوى والملائكة فلن نتساوى والله براً. وما ابعد ما تكون اذ ذاك المسافة بيننا وبينه .

١٠ - « من يعمل الخطيئة فهو من ابليس لان ابليس يخطأ منذ البدء » انكم لتدركون معنى « فهو من ابليس » اي انه يقتدي بابليس . ان الشيطان لم يخلق احداً ولم يكوّن احداً ولا ولد احداً لكن من يقتدي بالشيطان يصبح ، وكأنه منه مولود ، ويصير بفضل تشبّهه بالشيطان وكانه ابن الشيطان ولو لم يكن ابناً مولوداً منه. وكيف انت ابن لابراهيم؟ الانك تتحدر من ابراهيم ؟ لا كاليهود ابناء ابراهيم الذين لم يقتدوا بايمان ابراهيم فاصبحوا ابناء الشيطان . هؤلاء ولدوا بالجسد من ابراهيم دون ان يقتدوا من ابراهيم بايمانه . وعليه ، فان كان المولودون من ابراهيم قد حرموا من ميراث ابراهيم لانهم لم يقتدوا به ، تستطيع انت الذي لست من نسل ابراهيم ان تصبح ابناً له اذا اقتديت به. اما ان اقتديت بالشيطان، المتكبر ، الثائر على الله اصبحت له ابناً من جراء ذلك ، ولا لانه خلقك او ولدك.

١١ - « لهذا ظهر ابن الله » اجل ، اخوتي جميع الخطأة ، ولكونهم خطأة ، ولدوا من ابليس . اما آدم فالله قد خلقه ، وان يستسلم الى ابليس يصبح مولود الشيطان ، وابناء جنسه على مثاله يكونون. مع شهوة اللحم ولدنا وقبل ان نزيد عليها اخطاءنا الشخصية نولد من هذا الحكم . لو ولدنا من دون خطيئة لما استعجلنا عماد الاطفال تحريراً لهم من الخطيئة . وعليه يجدر بنا ايها الاخوة ان

نتأمل بولادتين ، ولادة من آدم واخرى من المسيح . وكل منهما انسان . انما احدهما انسان وحسب والآخر انسان اله . بالانسان الانسان خطئنا وبالانسان الاله تبررنا . بالولادة الاولى موت وبالولادة الثانية حياة . بالاولى الخطيئة وبالثانية تحرر من الخطيئة لان المسيح جاء ليغفر للبشر خطاياهم وظهر ابن الله لينقض اعمال ابليس .

١٢ — والان فاني اترك هذا الامر لتأملكم ايها الاخوة الاحباء خوفاً من ان اتعبكم . لدينا معضلة يصعب حلها علينا نحن الخطأة. ان كان انسان يقول عن نفسه انه بلا خطيئة فهو كذاب وهذا ما نجده بالذات في رسالة يوحنا « ان قلنا انا بلا خطيئة فانا نخدع نفوسنا » اذكروا ما قيل سابقاً ، ان قلنا انّا بلا خطيئة فانا نخدع نفوسنا وليس فينا حقيقة . وبالعكس فانك تسمعه يقول فيما بعد، من كان مولوداً من الله فلا يخطأ ومن يعمل الخطيئة لا يرى الله ولا يعرفه لان من يعمل الخطيئة فهو من الشيطان . الخطيئة لا تصدر عن الله ؛ هوذا يوحنا يلقي فينا من جديد الرعب حين يقول : وكيف نولد من الله ونحن نعترف بخطإنا ؟ السنا اذاً من الله؟ وما قيمة الاسرار في الاطفال ؟ وما رأي يوحنا ؟ « ومن كان من الله مولوداً فلا يخطأ » ثم يردف قائلاً ، وان قلنا ان ليس فينا خطيئة فانا نخدع نفوسنا وليست الحقيقة فينا .

صعبة هي هذه المشكلة ومعقدة . اسعوا جهدكم ايها الاخوة لتجدوا لها حلاً ، سوف نتكلم عنها غداً باسم الرب وفقاً للنور الذي يفيضه علينا .

المقالة الخامسة | مُشكلةُ الخطيئة

١ — ارجوكم ان تصغوا اليَّ بانتباه كلي لأنَّا امام مسألة هامة: اصغيتم اليَّ البارحة وها انكم تعودون اليوم لتعيروني انتباهاً اشد.

لا يسهل ان نوفق بين ما يقول يوحنا الآن «من كان مولوداً من الله لا يخطأ» وبين قول له سابق في الرسالة عينها «ان قلنا ان ليس فينا خطيئة فانما نضلّ انفسنا وليس الحق فينا». وماذا يفعل من وقع بين هذين النصين من الرسالة؟ ان اعترف بخطإه خشي ان يقال له «لست مولوداً من الله لانه كتب ان من كان مولوداً من الله لا يخطأ.» وان قال انه بار وليس فيه خطيئة تعرض لسهام النص الثاني من الرسالة عينها القائل: «ان قلنا ان ليس فينا خطيئة فانما نضل انفسنا وليس الحق فينا» لهذا يجد الانسان ذاته في حيرة فلا يعرف ما يقول ولا ما يعلن او يقر. ان اعلن انه بلا خطيئة اتى امراً خطيراً وليس خطيراً وحسب بل

ومخالفاً للحقيقة . ان قلنا ان ليس فينا خطيئة فانما نضل انفسنا وليس الحق فينا . ليتك حر من الخطيئة لتقدر ان تنطق بذاك الكلام . اذ ذاك بالحق تنطق ولا تخشى للشر ظلاً ولا اثرًا . انما ؛ شراً تعمل ان قلته ؛ لانك تكذب « ليس الحق فينا ان قلنا ليس فينا خطيئة » ان يوحنا لم يقل ، ما كان فينا خطيئة اي في الماضي من حياتنا ، انسانٌ ما خطئ في الماضي ثم انقطع عن الخطيئة بعد ولادته من الله . لو كان هذا هو معنى النص لما اشكل الامر ولكنا قلنا ، خطأة كنا فتبررنا ، وكانت فينا الخطيئة ثم لم تعد فينا خطيئة . انه لم يقل هكذا ، بل قال ، ان قلنا ان ليس فينا خطيئة نضل نفوسنا وليس الحق فينا . واردف : « من كان مولودًا من الله فلا يخطأ » أوَ لَمْ يولد يوحنا من الله ؟ ان لم يكن من الله مولودًا ، هو الذي قيل عنه ، انه اتكأ على صدر السيد فمن ذا يجرؤ على ان يَعدَّ نفسه بهذه الولادة ان لم يكن قد استحقّها الذي وضع رأسه على صدر المعلم ؟ أمن المعقول ان يكون غير اهل لان يولد من الروح ذاك الذي احبه المعلم اكثر من سواه ؟

٢ — اصغوا الان الى كلماتي هذه لأسرَّ اليكم بما نحن عليه من القلق ؛ لعل الله يفسح المجال امامنا ويفتح لنا باباً ، به نخرج من هذا المأزق ، بفضل اصغائكم الذي نعتبره صلاة من اجلنا جميعاً ؛ فنتقي العثار بسبب كلمة مكتومة كرز بها فوق المنابر للشفاء والخلاص . قال : « من يعمل الخطيئة شرًا يعمل » اياك وان تميز بينهما . شر هي الخطيئة فلا تقل اني خاطئ ولست شريرًا . «شر هي الخطيئة» وتعلمون انه ظهر لكي ينقض الخطيئة ذاك الذي لا خطيئة عليه . وما يفيدنا ان يكون قد جاء بلا خطيئة . كل

من لا يخطأ يثبت فيه ومن يخطأ لا يراه ولا يعرفه . ايها الاولاد لا يضلكم احد . من يعمل البر فهو بار كما ان ذاك هو بار ، هذه اشياء قلناها وقلنا ان لفظة « كما » تعني عادة شَبَهاً لا مساواة . « ومن يعمل الخطيئة فهو من ابليس لان ابليس يخطأ منذ البدء» وقلنا كذلك ان الشيطان ما خلق ولا ولد احداً انما هناك من ينهجون نهجه وكأنهم منه مولودون . لقد ظهر ابن الله لينقض اعمال الشيطان وظهر من لم يعرف الخطيئة لينقض الخطيئة . ثم يضيف يوحنا قائلاً : « كل من هو مولود من الله لا يَعمل خطيئة لان زرعه ثابت فيه ولا يستطيع ان يخطأ لانه قد ولد من الله » انه لقولٌ يشدّنا بقوة . وهل يمكن ليوحنا ان يشير في قوله هذا الى خطيئة معروفة ام الى كل خطيئة ؟ وحين يقول : « من هو مولود من الله لا يخطأ » ، قد يريد خطيئةً معينة ، لا يستطيع الانسان المولود من الله ان يقبلها . وهي تعني ان من عملها ثبت في الخطايا الباقية ومن امتنع عنها قضى على الخطايا الباقية . وما هي هذه الخطيئة ؟ خرق الوصية ؟ وما هي هذه الوصية ؟ « وصية جديدة اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً »[1] اصغوا جيداً ، بالمحبة اوصى السيد المسيح ، والمحبة هي التي تنقض الخطايا ومن لم يرعَ المحبة ، خطأ فادحاً يرتكب ؛ وهذا الخطأ هو سبب الخطايا كلها .

٣ — اصغوا ، ايها الاخوة ، لقد عرضنا عليكم امرًا ، فكل من وعاه جيداً وجد لهذه المشكلة حلاً . ولكن ، هل لنا ان نماشي من يسيرون سيرًا حسناً ؟ أوَ نهمل المتباطئين في مشيتهم ؟ لنعبر بطريقة فضلى عن فكرنا ، وبلغة يفهمها الجميع .

---

١) يوحنا ١٣ : ٣٤

اظن ، حقاً ، ايها الاخوة ان كل انسان يدخل الكنيسة ، عن خفة وطيش ، ولا يسعى اليهـا في اثر مصالح زمنية وامور دنيوية هو انسان يهتم بخلاص نفسه ، حتى اذا دخلها ، فسعياً وراء هذا الخير الابدي الموعود به وادراكاً له . ولذا عليه ان يبحث عن الوسيلة الواجب اتباعها لئلا يظل على الدرب او يتراجع الى الوراء او يضل او يقصر عن بلوغ الهدف ان سـار سيراً غير مستقيم . وعلى كل من يبغي الوصول ، بطيئاً كان ام سريعاً ، الا يبتعد عن الطريق . لقد قلت لكم ان الكلمات « من كان مولوداً من الله لا يخطئ » تدل على خطيئة معينة والا تناقضت مع هذه الكلمات الاخرى « أنا قلنا ان ليس فينا خطيئة نضل انفسنا وليس الحق فينا » وعلى هذا النحو تحل المشكلة هناك خطيئة لا يقترفها من كان من الله مولوداً واذا تحاشاها قضى على باقي الخطايا ، اما اذا اقترفها فتنشط الخطايا الاخرى .

وما هي هذه الخطيئة ؟ التعدّي على وصية المسيح ، الوصية الجديدة . وما هي تلك الوصية الجديدة ؟ « وصية جديدة اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً » كل من اتى عملاً مضاداً للمحبة ومضاداً للمحبة الاخوية لا يحق له ان يفاخر بأنه من الله مولود . وكل من رعى المحبة الاخوية وكان لها اميناً فلا يمكنـــه ان يرتكب بعض الخطايا ولا سيما ما كان منها ضد المحبة الاخوية . وماذا نقول عن باقي الخطايا « ان قلنا ان ليس فينا خطيئة نضل انفسنـــا وليس الحق فينا » ولنصغ الى قول آخر من الكتاب المقدس «المحبة تغطي خطايا كثيرة » ١ .

---

١) اولى بطرس ٤ : ٨

٤ — لهذا نوصيكم بالمحبة ، وبالمحبة توصيكم هذه الرسالة .
لم يسأل السيد المسيح ، بعد قيامته ، بطرس شيئاً آخر سوى هذا وهو « اتحبني ؟ »[١] ولم يكتف بطرح السؤال مرة واحدة بل ردده مثنى وثلاث ، وحزن بطرس لثالث مرة ظناً منه ان الرب لا يثق بكلامه وانه يجهل ما في قلبه مع ان الرب طرح عليه السؤال عينه مرة واثنتين وثلاثاً . عن خوف انكره ثلاثاً وبمحبة اعترف به ثلاثاً. احب بطرس الرب وعطيّته . تساءل صاحب المزامير بخوف ورعدة اذ قال : « وماذا اقدم للرب عن كل ما اعطانيه ؟ »[٢] بهذا الكلام يبين مقدار عطية الله له ويتساءل عما يقدم للرب عن كل مـا اعطاه فلا يجد . مهما اردت ان تعطي الله فانك تعطيه ما اخذته منه واياه ترد له . وماذا يجد ليرد له مقابل ما اعطاه ؟ انه يجد ايها الاخوة ما اعطاه الله وهذا هو ما يعطيه اياه رداً على عطاياه ، « كأس الخلاص اتناول واسم الرب ادعو »[٢] ومن ذا الذي اعطاه كأس الخلاص الا ذاك الذي يريد من الانسان ان يرده اليه ؟ انما على من يقبل كاس الخلاص ويدعو اسم الرب ان يمتلئ محبة والا يبغض اخاه وحسب ، بل ، وان يكون مستعداً للموت في سبيل اخيه . وذاك ما حققه السيد المسيح في ذاته حين مات عن الجميع وصلى من اجل صالبيه قائلاً : « اغفر لهم يا ابت لانهم لا يدرون ما يصنعون »[٣] ولو اكتفى بهذا دون سواه لما كان له تلاميذ . وتلاميذه ساروا على خطاه . هوذا اسطفانوس المحكوم

---

١) يوحنا ٢١ : ١٥–١٧
٢) مزمور ١١٥–١٢–١٣
٣) لوقا ٢٣ : ٣٤

عليه بالموت رجماً، يركع ويقول: «لا لا تقم لهم يا رب هذا الاثم»[1] احب قاتليه ومن اجلهم مات. اصغوا الى القديس بولس الرسول يقول: «سأضحي بذاتي من اجل نفوسكم»[2] وبولس هذا كان ممن صلى لاجلهم اسطفانوس حين كانوا يرجمونه.

ذاك هو ملء المحبة. ان عظمت المحبة في شخص الى هذا الحد ودفعته الى الموت عن اخوته كانت فيه كاملة.

وهل تكمل المحبة في انسان منذ ولادته؟ كلا بل تولد لتكتمل. ولكونها مولودة فهي تتغذى ولكونهـــا تتغذى فهي تتقوى وبذلك تكتمل. وماذا تقول حين تبلغ الكمال؟ ان حياتي هي المسيح وان مت فذلك ربح لي. «اني اتمنى لو انحل واصير مع المسيح وانه لافضل لي، لكن البقاء في الجسد يضطرني اليه خيركم»[3]. يريد ان يحيا من اجل من كان مستعداً ان يموت عنهم.

٥ — ان كنتم تريدون برهاناً على المحبة الكاملة هذه التي لا يخرق حرمتها ولا يخطأ ضدها من كان مولوداً من الله فاسمعوا كلام الرب لبطرس «يا بطرس اتحبني؟» وجواب بطرس «اني احبك» ان الرب لم يقل ان كنت تحبني فاسمع كلمتي. في حياته على هذه الارض كان السيد المسيح يجوع ويعطش وضافه الناس وساعده من كان منهم موسراً، فزكا قبله عنده؛ واذ استقبل الطبيب شفي من مرضه. وما هو هذا المرض؟ البخل. لقد كان زكا ثرياً ورئيساً للعشارين، فاصغوا الى من شفي من بخله يقول:

---

١) اعمال الرسل: ٧: ٦٠

٢) ٢ كور ١٢: ١٥

٣) فيليبي ١: ٢١—٢٤

« أهب نصف اموالي للفقراء واعوض على كل انسان الحقت به اذى باربعة اضعاف »[1] . واحتفظ زكا بالنصف الباقي من ماله ليسد به ديونه. لقد استضاف في بيته الطبيب لان السيد الذي اخذ الضعف البشري يرضى من الناس بتلك الخدمات المادية ويريد ان يعطي من يساعدونه لتكون الفائدة لهم دونه. وهل يحتاجُ الى الناس من اقام الملائكة خداماً له ؟ ايليا خادمه ، لم يكن محتاجاً لتلك الخدمات وقد ارسل اليه الخبز واللحم في منقار غراب. ورغبة منه في ان يبارك ارملة تقية انفذ اليها خادم الله فقدمت اليه الطعام بيد ان الطعام كان يصله سرًا من لدن الرب . يفيد الناس شخصياً من مساعدةٍ يقدمونها الى خدام الله المتضايقين ، مستندين في ذلك الى وعد الرب بالمجازاة حين قـــال في انجيله: « من يقبل صديقاً باسم صديق يأخذ اجر صديق ومن يقبل نبياً باسم نبي يأخذ اجر نبي ومن يعطِ احد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد بصفته تلميذاً فالحق الحق اقولُ لكم ان اجره لن يضيع »[2] . ومع انهم وجدوا ان من مصلحتهم متابعة هذا العمل فقد عجزوا عن تقديم اي خدمة الى من كان مزمعاً ان يصعد الى السماء . وماذا كان يستطيع بطرس صديقه ان يقدمه له ؟ اصغ جيدًا ، هذا هو « ارع نعاجي » اي ، اعمل لاخوتك ما عملت لك. لقد فديتهم بدمي فلا تتردد في ان تموت لتذيع الحقيقة وليقتفي الآخرون اثرك .

٦ — ذاك هو ملء المحبة ايها الاخوة . كل مولود من الله حاز المحبة . اسمعوا الي واصغوا الى كلامي ايها الاحباء . ها ان

---

١) لوقا : ١٩ : ٦—٨

٢) ١ متى ١٠ : ٤١—٤٢

انساناً معمداً قد قبل سر الولادة، انه لسر عظيم، الهي، مقدس، وفائق الوصف. تأمل به: انسان جديد يولد بعد غفران خطاياه. وهل كمل في قلبه ما تم في جسده. لينظر جيداً ان كان قد حاز فضيلة المحبة وليقل في ذاته، اني من الله مولود. ان لم تكن فيه المحبة ففيه ولا ريب طابع السر الذي ناله. انه ضالٌ وتائهٌ. بيد انه يستطيع ان يقول، معي السر. اسمع الجواب عليه من فم بولس الرسول، «لو عرفت الاسرار كلها وحزت الايمان كله لانقل الجبال ولم تكن فيّ المحبة فلست شيئاً»[١].

٧ – بهذا اوصيناكم، لو تذكرون، في بدء التفسير لهذه الرسالة التي تدعونا بالحاح الى ممارسة المحبة. وان يقل يوحنا هكذا فلكي يعود الى الموضوع عينه، للمحبة يريد ان يرد كل شيء. اسمعوا لنرى ان كان قوله صحيحاً «كل من كان من الله مولوداً فلا يعرف الخطيئة» واي خطيئة لا يعرف؟ ان عنى كل خطيئة عارض النص القائل: «ان قلنا ان ليس فينا خطيئة فانما نضل نفوسنا وليس الحق فينا» عليه اذاً ان يعلن عن هذه الخطيئة لنعرفها. ولربما غاليت في قولي السابق حين قلت ان هذه الخطيئة هي تعد على وصية المحبة لانه قيل: «من ابغض اخاه اقام في ظلمة وفي الظلمة سار لانه لا يدري اين يذهب، لان الظلمة قد اعمت عينيه». قد يوضحُ كلامه بعدئذ ويسمي المحبة بصراحة. تأملوا كيف ان مداوراته الكلامية توصلنا الى هذه النتيجة والى هذا الحل «من كان من الله مولوداً لا يخطأ» لان بذار الله فيه وبذار الله هذا هو كلمة الله، وبهذا المعنى قال الرسول: «اني بالبشارة

---

١) ١ كور ١٣ : ٢

ولدتكم »[1] ولا يستطيع ان يخطأ كل مولود من الله . انا ننتظر منه ان يرينا ويقول لنا كيف لا يستطيع ان يخطأ من كان من الله مولوداً . بهذا يُعرف ابناء الله من ابناء الشيطان وهو ان من لم يَرْعَ العدل ولا يحب اخاه ليس من الله . لقد اتضح الجواب من خلال هذا القول وهو ان من لا يحب اخاه ليس من الله . فالمحبة اذاً وحدها هي العلامة الفارقة لابناء الله ضد ابناء الشيطان. كلهم يرسمون على وجوههم إشارة صليب المسيح وكلهم يجيبون آمين. مهما سبحوا وعمدوا في الكنائس ورفعوا من مداميكها فلا يعرف ابناء الله من ابناء الشيطان الا بالمحبة . من كانت قلوبهم عامرة بالمحبة كانوا من الله مولودين والا فليسوا منه . بها يُعرفون ويُميَّزون . ان لم تكن فيك المحبة فلا ينفعك قنيان اما اذا كانت فيك المحبة ولم يكن لديك شيء ، فقد اكملت الشريعة لان من احب اخاه فقد اكمل الشريعة . لقد قال الرسول ، بالمحبة تكمل الشريعة.

تلك هي الدرة الثمينة ، على ما اظن ، راح التاجر يبحث عنها ، كما جاء في الانجيل . ولما وجدها باع كل ما له واشتراها. المحبة هي تلك الدرة الثمينة . حسب الانسان ان يحصل عليها والا فلا نفع له من كل ما يجمع . الان بعين الايمان ترى اما بعد فسوف ترى بعين الحس . ان كنا لا نرى ونحب فما يكون حبنا عندما نرى ؟ وكيف نتدرب على هذا الحب ؟ بالمحبة الاخوية . باستطاعتك ان تقول لي ، اني لم ارَ الله . ولكن ، ايمكنك ان تنكر انك رأيت انساناً ؟ احبب اخاك ، ان كنت تحب اخاك الذي تراه هكذا ترى الله وترى المحبة عينها ، الله فيها .

---

١) ١ كور ٤ : ١٥

٨ – « من لا يعمل البر فليس من الله وكذا من لا يحب اخاه ، لان هذه هي البشرى » وتأملوا في ما يعتمد عليه كلام يوحنا ؛ هذه هي البشرى التي سمعتموها من البداية ان نحب بعضنا بعضاً . انه ليرينا من خلال ذلك الموضع الذي منه يستخرج تعليمه. « من يخالف هذه الوصية يرتكب جرماً يقع فيه كل من لم يولدوا من الله » لا كقايين ابن الشيطان الذي قتل اخاه . وما الذي دفعه الى قتل اخيه ؟ اعماله شريرة واعمال اخيه صالحة . وحيثما وجد الحسد انتفت المحبة الاخوية . اسمعوا ايها الاحباء ، الحسود لا يحب . وفيه خطيئة الشيطان لان الشيطان عينه حسد الانسان فاسقطه . عثر فحسد من كان واقفاً ، واراد ان يسقطه لا ليأخذ محله بل لئلا يسقط وحده . احفظوا جيداً في قلبكم بفضل هذا المثل ان المحبة والحسد ضدان لا يجتمعان . انه لجلي واضح هذا الثناء الذي يضيفه بولس على المحبة . « المحبة لا تحسد »[1] لم يعرف قايين المحبة ، ولولا المحبة لما قبل الله ذبيحة هـــابيل . كل منهما قرب الى الله قرباناً ، هذا قرب من صغار غنمه وذاك من ثمار ارضه . ولماذا ، حسب رأيكم ، رفض الله ثمار الارض ورضي بصغار الغنم ؟ ان الله لم ينظر الى ما في الايدي بل الى مـــا في القلوب نظر . ولما رأى محبة هابيل قبل تقدمته ورفض تقدمة قايين الحسود . فاعمال هابيل اذاً هي اعمال محبة وصلاح واعمال قايين شر وحسد . ولم يبغض قايين اخاه وحسب بل غار من اعمالــه الصالحة ورفض ان يحذو حذوه وصمم على قتله ومن خلال ذلك يتضح لنا ان قايين هو ابن الشيطان وهابيل صديق الله . وهكذا

---

١) ١ كور ١٣–٤

يعرف الناس ايها الاخوة فلا ترضوا بالكلام بل بالقلب والاعمال. فمن لم يعملْ خيرًا لاخوته يكشف عن سريرته ، والناس بالتجارب يعرفون .

٩ — « لا تعجبوا ايها الاخوة ان ابغضكم العالم » وهل تحتاجون الى ان اعرّفكم بالعالم ؟ العالم ليس هذه السماء ولا الارض ولا مخلوقات الله بل هو اولئك الذين يعشقون العالم . انه ليصعب علي جدًا ويزعجني ان احدثكم عن هذه الامور ولكن الكلام عنها مفيد لان البعض منكم لا يعرفون ما اذا كنت قد طرقت هــذا الموضوع ام لا وعليه بات من اللازم والضروري ان يعرف السامعون شيئاً عن هذا الامر . ما هو العالم ؟ ان اخذته بمعناه المبتذل عَنَى الناس الذين يهوونه وان اخذته بمعناه الصالح عنى السماء والارض ومخلوقات الارض فيهما . ولهذا قيل « العالم به كون » وبهذا ايضاً يعني الارض باسرها كما قال يوحنا نفسه : « انه ذبيحة استغفار عن خطايانا وخطايا العالم كله » انه يعني بلفظة « العالم » مجموع المؤمنين المنتشرين في الكون. اما اذا اخذت كلمة « العالم » بمعناها السيء المبتذل فانها تعني هواة العالم اولئك الذين يعشقون العالم ولا يحبون اخوتهم .

١٠ — ان ابغضنا العالم فنحن نعرف . وماذا نعرف ؟ « انّا انتقلنا من الموت الى الحياة » وكيف نعرف ذلك ؟ نعرفه لانا نحب اخوتنا. فلا يسأل احدنا الآخر بل ليرجع كل منا الى ضميره حتى اذا وجد فيه المحبة الاخوية اطمأن الى انه ينتقل من الموت الى الحياة وانه اصبح عن يمين الله ، اجل ، ليهدأ باله حتى ولو لم يتجلَّ له مجده عندما يجيء السيد المسيح ليتمجد . انه في اوج نشاطه

في حين ان الشتاء قائم . حي هو الجذع بيد ان الاغصان تبدو كأنها يابسة . في الباطن حيوية دفاقة وفيه اوراق الشجرة وثمارها انما تنتظر فصل الصيف . وعليه نعرف انا انتقلنا من الموت الى الحياة حين نحب اخوتنا لان من لم يحب اخاه يقم في الموت . لا تظنوا ايها الاخوة انه لامر بسيط ان يحب الانسان او يبغض اخاه بل اسمعوا جيداً ما يلي « لأن من يبغض اخاه فهو قاتل » ان كان احد حتى الآن لا يدرك فظاعة الحقد الذي يضمره لاخيه في قلبه ، أيستهين بجرم القتل الذي يقترفه في باطنه ضد اخيه ؟ وما ان يأتي بحركة ليقتل انساناً حتى يعتبره الرب قاتلاً وفي حين ان هذا الرجل يحيا يعتبره القانون قاتلاً . « كل من يبغض اخاه فهو قاتل وتعلمون ان كل قاتل ليست له حياة ابدية تحل فيه ».

١١ – نمو المحبة .

« بهذا قد عرفنا المحبة » انه يتكلم عن الكمال في المحبة هذا الذي اوصيناكم به . بهذا قد عرفنا المحبة ان ذاك قد بذل نفسه من اجلنا فيجب علينا ان نبذل نفسنا من اجل الاخوة . وذاك هو التفسير الحقيقي لكلام السيد القائل : « يا بطرس ، اتحبني ؟ ارع نعاجي » او تريدون دليلاً على ان السيد اقام بطرس راعياً لنعاجه يبذل نفسه من اجلها ؟ اسمعوه يقول : « حين كنت شاباً كنت تشد حقويك لنفسك وتذهب انّى تشاء وحين اصبحت شيخاً راح آخر يشد لك حقويك ويحملك الى حيث لا تشاء . قال هذا ليبين له باية ميتة كان مزمعاً ان يمجد الله »[1] . وليعلم من اقامه راعياً لنعاجه واجب الموت في سبيلها .

---

١) يوحنا ٢١ : ١٥–١٩

١٢ – وكيف تبدأ المحبة ايها الاخوة ؟ اسمعوا لي قليلاً. لقد عرفتم ما هو كمال المحبة. الرب ذاته اطلعنا في انجيله على غاية هذا الكمال وقياسه حين قال: «ما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه» كمالها في سبيل الانجيل واضح وهو ما يجب ان نسعى اليه؛ بيد انكم تتساءلون في نفوسكم قائلين: كيف يمكننا ان نحذر المحبة؟ حذار من القنوط السريع. قد تكون المحبة ناقصة فيك. عليك ان تنميها لئلا تختنق؛ ولعلك تجيبني، من اين لي ان اعرف ذلك ؟ عرفنا كيف تصبح المحبة كاملة فعلينا الان ان نعرف كيف تبدأ.

ويردف يوحنا قائلاً: «من كانت له المعيشة العالمية ورأى اخاه في فاقة فحبس عنه احشاءه فكيف تحل فيه محبة الله ؟ انظر اين تبدأ المحبة. ان لم يكن باستطاعتك ان تبذل نفسك فداء عن اخيك فباستطاعتك ان تبذل له من خيراتك. على المحبة ان تحرّك قلبك لتعمل بموجب مـا يفيض عنه في شفقة ورحمة وليس حباً بالظهور. وعليها ان تنبهك الى شقاء اخيك وبؤسه. فاذا لم تستطع ان تعطي اخاك ما يفيض عنك فكيف تستطيع ان تبذل نفسك فداء عنه ؟ يسلبك اللصوص مالك المخزون في حضنك والا فالموت يسلخك عمـا لم تتخل عنه حياً. وماذا تعمل بمالك ؟ ان جاع اخوك او كان في فاقة وراح ينتظر، قلقاً، الفرج ليدفع عنه مطاليب دائن يلاحقه اذ ذاك انت تملك وهو لا يملك شيئاً. انه اخوك، وثمن مشترا كما واحد وهو دم المسيح. اتشفق عليه حقاً انت الذي تملك خيرات العالم؟ وقد تقول: وما لي وله؟ أأعطي مالي لاخلص هذا الرجل من براثن الشقاء؟ ان كـان ذاك هو

جواب قلبك فليست فيك محبة الله ومن لم تكن محبة الله فيه فهو ليس مولوداً من الله وكيف تفاخر بأنك مسيحي ؟ لك الاسم من المسيحية لا الاعمال . ان كان اسمك ممهوراً بطابع الاعمال ولو قالوا عنك انك وثني فعليك ان تبرهن من خـــلال اعمالك انك مسيحي . اما ان لم تبرهن من خلال اعمالك انك مسيحي ولو دعاك جميع الناس بهذا الاسم فماذا ينفعك اسم لا مدلول له . ؟ « من كانت له المعيشة العالمية ورأى أخاه في فاقة فحبس عنه احشاءه فكيف تحل محبة الله فيه » ويضيف يوحنا قائلاً : « ايها الابناء لا تكن محبتكم بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق »

١٣ – اظن ايها الاخوة اني اظهرت لكم عظمة هذه الحقيقة الخفية وضرورتها . حدثتنا الكتب المقدسة عن عظمة المحبة ، ولا افضل ، على ما اظن ، من هذه الرسالة . اننا نسألكم ونستحلفكم بالرب ان تحفظوا الحقائق التي سمعتموها وتحضروا بانتباه كلي وتصغوا جيداً الى كل ما سوف نقوله لكم حتى نهاية هذه الرسالة. افتحوا قلوبكم للبذار الصالح واقتلعوا الاشواك منها كيلا يختنق الزرع بل ينمو الحصاد بسرعة ويكثر فيفرح الزارع ويُعد اهراء للحب لا ناراً للتبن .

المقالة السادسة | المحبة الصادقة

١ — تذكرون ، ايها الاخوة ، ان حديثنا اليكم ، البارحة ، انتهى الى هذه الجملة العالقة، لا شك ، في اذهانكم ؛ لانها آخر ما سمعتموه مني « لا تكن محبتكم بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق ؛ وبذلك نعرف انـّا من الحق ؛ ونقنع قلوبنا بان تطمئن امامه . وان كان قلبنا يبكتنا فان الله اعظم من قلبنا وعالم بكل شيء » لقد قال: « لا تكن محبتنا بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق » . اما عن العمل وعن الحق ، الذي به نعرف من يحب الله ، ومن يحب اخاه ، فلقد كلمنا يوحنا آنفاً عن كمال الحق ؛ وكلمنا السيد ايضاً بهذا المعنى حين قال: « ما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه »[1] ثم يقول يوحنا « وكما انه بذل نفسه عنا فمن واجبنا ان نبذل نفوسنا عن اخوتنا » ذاك هو الكمال في المحبة ولا اسمى منه .

---

١) يو ١٥ : ١٣

انما ليست المحبة كاملة في الجميع ، ولهذا على من كانت فيه المحبة ناقصة الآ يقنط ؛ لانها فيه للكمال . ولهذا تجب تغذيتها بما يضمن لها النمو الكامل . بحثنا عن نقطة انطلاق هذه المحبة فوجدنا الجواب في الاسطر التالية « من كانت له المعيشة العالمية ورأى اخاه في فاقة فحبس عنه احشاءه فكيف تحل محبة الله فيه » . تبدأ المحبة في الانسان حين يبدأ يوزع خيراته على المحتاجين والبؤساء لان من يعطي اخاه ما يفيض عنه من خيرات زمنية ينجيه من ضيق زمني . بهذا تبدأ المحبة ؛ وهكذا تنطلق ؛ حتى اذا غذيتها بكلام الله ورجاء الحياة الابدية بلغتَ الكمال في المحبة واصبحتَ مستعداً لان تبذل نفسك عن اخوتك .

٢ — تجاه عدة اعمال من هذا النوع يسعى البعض لغايات لا تمت بصلة الى المحبة الاخوية ؛ فلهذا علينا ان نعود الى شهادة ضميرنا . وكيف نبرهن عن ان عدة اعمال من هذا النوع تتم على ايدي اناس لا تعرف المحبة الاخوية الى قلوبهم سبيلاً ؟ كم من اناس في البدع والانشقاقات يعتبرون ذواتهم شهداء ؛ ويظنون انهم بذلوا نفوسهم عن اخوتهم ؛ ولو انهم فعلوا ذلك حقاً لما انفصلوا عن شركة الاخوة . كم وكم من الناس الذين يعطون الكثير ويوزعون الكثير ، كسباً لمجد عالمي ، وسعياً وراء هذا المجد ؛ ومن اجل الشعبية الرخيصة يعملون ، وحسب ؛ كل ذلك باطل ولا منفعة منه . وفي حالتهم تلك كيف تبرهن عن محبتهم الاخوية ؟ اراد يوحنا ان تبرهنوا عنها فحذركم بقوله : « لا تكن محبتنا ايها الابناء بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق » فما هو هذا العمل وما هو هذا الحق ؟ واي عمل اشد وضوحاً من ان يعطي الانسان الفقراء ؟

كثيرون هم الذين يقومون به ، كسباً لمجد عالمي ، لا عن محبة .
وهل اسمى من هذا : وهو ان يبذل الانسان نفسه عن اخوته ؟
كثرٌ هم الذين يبغون منه شهرة وبطولة ؛ ولا يأتونه عن شفقة ورحمة .
وحده يحب اخاه من يتأكد بحضرة الله وحيث ينفذ بصره ، متسائلاً
في قلبه عما اذا كان يقوم بعمله هذا ، حقاً ، عن محبة اخوية .
والعين التي تنفـــذ الى القلب حيث لا تصل عين البشر تشهد
له بذلك . وهكذا اراد بولس ان يبذل نفسه عن اخوته فقال : «اني
انفق نفسي لاجل نفوسكم »[1] وطال ما ان الله وحده يرى ما في
قلبه ولا يستطيع ، الذين يخاطبهم ، الى ذلك سبيلاً ، كان يقول
لهم : « اكانت محاكمتي لديكم او لدى اي محكمة اخرى فهذا امر
لا يهمني البتة »[2]. وهو ، في محل آخر ، يظهر لنا ان اعمالاً كهذه
تتم عن مجد باطل لا عن محبة . وحين يمتدح المحبة يقول : « لو
بذلت جميع اموالي لاطعام المساكين واسلمت جسدي لاحرق ولم
تكن فيّ المحبة فلا انتفع شيئاً »[3] وهل يستطيع انسان ان يقوم بهذا
كله بلا محبة ؟ اجل . ان الذين خلوا من المحبة يمزقون الوحدة .
ابحثوا بينهم تجدوا ان الكثيرين قد اعطوا الفقراء اموالهم وآخرين
مستعدين لان يموتوا حتى اذا تراجع المضطهد يندفعون من تلقاء
ذواتهم الى الموت . ولا شك في ان اولئك لا يقومون بهذا العمل
تحت تأثير المحبة .

فلنعد الى ضميرنا الذي يقول عنه بولس الرسول « ان فخرنا

---

١) ٢ كور ١٢ : ١٥
٢) ١ كور ٤ : ٣
٣) ١ كور ١٣ : ٣

هو شهادة ضميرنا »[1]. ولنعد الى ضميرنا الذي يقول عنه ايضاً الرسول نفسه: « فليمتحن كل واحد عمله وحينئذٍ يفتخر بنفسه لا بسواه »[2] فليمتحن اذاً كل واحد منا عمله ليعرف ان كان هذا العمل صادراً عن ينبوع المحبة او اذا كانت اغصان الاعمال الصالحة تنمو على اصول المحبة. « فليمتحن كل واحد عمله وحينئذ يفتخر بنفسه لا بسواه » اذ ذاك لا تأتيه الشهادة من فم آخر بل من ضميره الشخصي.

٣ – وذاك ما اوصانا به يوحنا حين قال، بهذا نعرف انّا من الحقيقة ان لم تكن محبتنا باللسان والكلام بل بالعمل والحق، وامامه نُقنع قلوبنا بأن تطمئن. وما معنى « امامه »؟ حيث يرى الله. ولهذا قال السيد عينه في الانجيل « لا تصنعوا بركم امام الناس ليروكم والا فلا اجر لكم عند ابيكم الذي في السماوات »[3] وما معنى «لا تعلم شمالك ما تصنع يمينك» سوى ان يمينك هي الضمير النقي ويسارك الشهوات العالمية؟ وتحت تأثير الشهوات العالمية كثيرون يأتون عدة امور مذهلة. يدهم اليسرى تعمل، لا اليمنى؛ في حين انه يجب على اليمنى ان تعمل بمعزل عن اليسرى لئلا تتدخل الشهوات العالمية، بما نعمل من صلاح، بدافعٍ من المحبة. ومن اين لنا ان نعرف هذا؟ بحضرة الله إسألْ قلبك، تأملْ ما فعلت واشتهيت. هل عملت خلاصك ام مجداً عالمياً باطلاً؟ تأملْ في قلبك، لا يستطيع الانسان ان يحكم على من لا يراه. ان طمأننا قلبنا فبحضرة الله نطمئنه.

---

١) ٢ كور ١ : ١٢

٢) غلاطية ٦ : ٤

٣) متى ٦ : ١–٣

اما ان كان قلبنا لنا شاجباً ومتهماً لانا خالفنا في عملنا النية المعطاة فالله من كل ذلك اكبر وهو بكل شيء عليم. تخفي قلبك عن الشر فخبئه ان استطعت عن الله. وكيف تخفيه عمّن قال له الخاطئ التائب مرتعداً « واين اهرب من روحك ؟ واين اهرب من وجهك ؟» يبحث الخاطئ عن سبيل للهرب من قضاء الله فلا يجد. واين لا نجد الله ؟ « ان صعدت الى السماء اجدك وان هبطت الى الجحيم كذلك »[1]. فاين الخلاص ؟ واين المفر ؟ اتسمح لي بمشورة ؟ ان شئت ان تهرب منه ، فافزع اليه معترفاً ؛ ولا تختبئ عنه لانك لن تستطع ان تختبئ عنه بل اليه يجب ان تتوب قائلاً له : « انت ملجإي »[2] أنمِ فيك المحبة ؛ وحدها تقودك الى الخلاص. على ضميرك ان يشهد لك ، لانه من الله. فان كان ضميرك من الله فلا يجوز ان تتباهى امام الناس ؛ اذ لا ثناؤهم يرفعك الى السماء ولا مسباتهم تنزلك منهـا. اطلب ذاك الذي يستطيع ان يتوجك واتخذ شاهداً لك الحاكم الذي يحق له ان يضع التاج على رأسك. « الله اكبر من قلبنا وهو بكل شيء عليم. »

٤ — « ايها الاحباء » ان كان قلبنا لا يبكتنا فلنا حينئذ ثقة امام الله » وما معنى « قلبنا لا يبكتنا » ؟ اذا كان جوابه لنا انا نحب بعضنا بعضاً محبة اخوية حقيقية ، صادقة ، لا غش فيها ، تهيب بنا الى السعي في سبيل خلاص اخوتنا ودون اي اجر آخر سوى خلاصهم. لنا ملء الثقة بالله ، مهما نسأله يعطينا ، لانا لوصاياه حافظون ، لا على مرأى من الناس بل في قلبنـــا المكشوف ننظر الله وحده.

---

١) مزمور ١٣٨ : ٧-٨
٢) مزمور ٣١ : ٧

«لنا ثقة بالله ومهما نطلب يعطناه؛ وذلك لانا لوصاياه حافظون»
وما هي وصاياه؟ وهل من الضروري ان نعود دوماً الى هذا الموضوع؟
« وصية جديدة اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً » عن المحبة يحدثنا
وبسوى المحبة لم يوصنا. كل من كان محباً في قلبه امام الله الذي
يراه واخضع ضميره لامتحان دقيق نال منه الجواب الاكيد بان
اصول المحبة فيه قائمة ومنها تجني ثمار الاعمال الصالحة. يثق بالله
من نال من الله جميع حاجاته. ويقضي الله جميع الحاجات لكل
من كان لوصاياه حافظاً.

٥ — نحن امام سؤال، لا عن هذا الرجل ولا عن ذاك،
ولا عني او عنك. ان اطلب شيئاً من الرب الهنا ولا استجاب
يقال عني، انه خال من المحبة كاي انسان آخر معاصر لنا.
واياً كان رأى الانسان بالانسان فلا يجيب على السؤال كاملاً
الا الذين كانوا قديسين حين كتبوا واصبحوا الان عند الله. ومن
ذا يحوز المحبة ان لم يكن بولس قد حازها. وهو القائل: « فمنا
ينفتح اليكم يا معشر القرنثيين وقلبنا يتسع ولا يضيق محل بكم
فينا »[١] وبولس عينه يقول، اني ابذل نفسي عنكم. ما كان اعظم
النعمة فيه ومن ذا يرتاب بوجود المحبة؟ وبرغم ذلك نجده يسأل ولا
يأخذ. وماذا اقول ايها الاخوة؟ امام هذا السؤال اصغوا الى الله
وحده، انه لسؤال صعب كالذي عن الخطيئة حيث يقول يوحنا
« من كان مولوداً من الله لا يخطأ » انّا ندرك ان مخالفة المحبة
خطيئة وان هذا هو المقصود هنا. وانا نتساءل عما يقصده يوحنا
حتى اذا تأملنا الكلام وجدناه واضحاً وان تأملنا الامثال الواقعية

---

١) ٢ كور ٦: ١١، ١٢

وجدناها غامضة. اذ ذاك لا نجد اوضح من التعابير التالية. «مهما نسأل فانا نناله منه لانا نحفظ وصاياه ونعمل ما هو مرضي امامه». قال يوحنا: « مهما نسأل فانا نناله منه ».

كلام صعب جداً كصعوبة النص الاسبق فيما لو اريد به كل خطيئة. اما نحن فقد اتخذنا مبدأ انطلقنا منه ففسّرنا ذلك بخطيئة مميتة. وما هي الخطيئة التي لا يأتيها من كان من الله مولوداً؟ انها المخالفة للمحبة، ولقد اعطى الرب في انجيله مثلاً واضحاً عن ذلك، حين قال: « لو لم اجئ لما كانت لهم خطيئة »[1] وهل يعني انه جاء الى اناس كانوا ابراراً قبل مجيئه؟ وهل يصبح الانسان مريضاً بوجود طبيب وتعتريه الحمّى؟ هل من عاقل او مجنون ينطق بهذا الكلام؟ اتى السيد ليشفي المرضى ويعالجهم ولذا قال: « لو لم آت لما كانت لهم خطيئة » مشيراً الى خطيئة واحدة معيّنة لم يعملها اليهود. وما هي اذاً؟ انها الكفر به واحتقاره. حين يتكلم في هذا النص، عن الخطيئة، يقصد خطيئةً واحدة والا، ناقض نفسه بنفسه، اذ يقول في موضع آخر. « ان قلنا اننا لسنا خطأة نخدع انفسنا وليست الحقيقة فينا » انما هناك خطيئة اكيدة وهي مخالفة المحبة. بيد ان الصعوبة تشتد وتتأزم حين يقول: اذا صلينا ولم يستجبْنا قلبنا بل اكّد لنا بحضرة الله بأن فينا محبةً صحيحة اذ ذاك يقضي لنا كل حاجاتنا.

٦ — ها قد قلت لكم ايها الاخوة الاحباء ان هذا السؤال لا يعنينا. اذاً من نحن؟ ومن انتم؟ نحن كنيسة الله المعروفة لدى الكل. وفيها نحن الذين على المحبة قائمون. وان اردنا ان نعطي الغير

---

١) يوحنا ١٥: ٢٢

دليلاً على محبتنا ففيها ثابتون ، هذا ان حسن لديه . وهل كانت قداسة بولس موضوع شك لاحد منكم؟ ألم يكن لاخوته محباً ، وضميره شاهداً له امام الله ؟ او لم تتأصل فيه المحبة وتجنَ عنها ثمار الاعمال الصالحة ؟ وايّ احمق يجروء على التلفظ بأن بولس طلب وما استجيب ؟ وهو ذاته قال : « ولئلا استكبر لسمو الايحاءات اعطيت شوكةً في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني ولهذا سألت الرب ثلاث مرات ان تفارقني فقال لي تكفيك نعمتي لان القوة تكمل في الوهن »[1] . ولم يستجب الرب له ولم يبعد عنه ملاك الشيطان. لماذا ؟ لان طلبه هذا لم يكن نافعاً له بل اعطي مـــا هو مفيد لخلاصه ، ولو لم يكن فيه راغباً . افهموا ايها الاحباء عظمة هذا السر . به نوصيكم لتضعوه دوماً نصب اعينكم في تجاربكم. يستجيب الله للقديسين طلباتهم العائدة الى خلاصهم ويستمع اليهم في كل ما يختص بخلاصهم الابـــدي . ان ارادوا خلاصهم استجاب لهم .

لنميز بين استجابات الله : لهؤلاء يستجيب اسئلتهم الخلاصية ولأولئك يرفض تحقيق رغباتهم ؛ ثم نراه يستجيب لهؤلاء ويرفض لأولئك . افهموا الفرق جيداً بين من لا تستجاب له طلبة وبين من يحقق له الخلاص ؛ واصغوا الى قول الرسول الذي يبين الله له بوضوح انه يستجيب له ما يعود لخلاصه « تكفيك نعمتي لان القوة تكمل في الوهن » . صليت وتضرعت ثلاث مرات وكنت كل مرة اسمع استغاثتك وما املتُ اذني عنك وكنت عارفاً بمـــا اعمل ؛ اما انت فقد تهربت من العلاج المحرق وادركت ضعفك

---

1) ٢ كور ١٢ : ٧-٩

الذي يثقل عليك : وعلى هذا النحو استجيب لبولس ما هو مفيد لخلاصه ولم تحقق له رغباته.

اصحيح ان هناك اناساً لا تحقق لهم رغبات في حين تستجاب لهم طلبات متعلقة بخلاصهم؟ وهل نجد خاطئاً ، شريرًا ، يستجيب الله سؤاله ولا يحقق له خلاصه؟ ان اعطيت مثالاً عليه، اجبتني : تدعي انه شرير في حين انه صالح ولو لم يكن بارًا لما استجيب له . اليك مثلاً لا يرتاب احد في اثمه وشره. طلب الشيطان ايوب فأخذه. اليس صحيحاً ما جاء في هذه الرسالة وهو ان من يعمل الخطيئة من الشيطان مولود؟ لا ، لان الشيطان ولده ؛ بل لان هذا الانسان عينه ينهج نهج الشيطان. اليس صحيحاً ما جاء عنه وهو انه ليس في الحقيقة؟ انه الحية القديمة التي سقت السمّ الانسان الاول بواسطة المرأة ؛ وهو الذي وضع الى جنب ايوب زوجة فلم يجد فيها عزاءه بل راحت تجرّبه. انه الشيطان الذي طلب الرجل البار ليجربه فكان له ما طلب. وطلب الرسول التحرر من شهوة اللحم فلم يستجب له بيد انه اخـذ اكثر من الشيطان. اعطي الرسول ما يلزم لخلاصه لا ما يحقق رغباته واعطي الشيطان ما يحقق رغباته لهلاك ابدي. اعطي الشيطان ايوب ليمتحنه وليكون تغلبه على التجربة موضوع عذاب والم له. اننا لا نجد هذا في العهد القديم وحسب بل وفي الانجيل ايضاً. سأل الشياطين السيد ، حين اخرجهم من الرجل ، ان يسمح لهم بالدخول في الخنازير. او لم يكن باستطاعته ان يحرم عليهم الدخول في الخنازير؟ ولو رفض طلبهم لما استطاعوا ان يثوروا ضد ملك السماء والارض. بيد انه، بفضل تدبير الهي ارسل الشياطين الى الخنـازير ليدل على ان

الشيطان يملك على من كـــان يحيي كخنزير . ايستجيب اذاً للشياطين ولا يستجيب للرسول ؟ او ليس من الاصح ان نقول انه استجاب للرسول وما استجاب للشياطين ؟ لهؤلاء كان لهم ما ارادوا وأمَّا هو فقد اكتملت صحته الروحية .

٨ — واستناداً الى ما تقدم ، علينا ان ندرك ان الله لا يعطينا ما نريد بل ما يلزم لخلاصنا . ان طلبت ما يؤذيك وعلم الطبيب انه يؤذيك ، فماذا يحدث ؟ إن رَفَضَ الطبيب ان يعطيك ماء بارداً وهو عالم بانه يؤذيك فهذا لا يعني انه لا يستجيبك ؛ او بالعكس اذا كان الماء نافعاً لك ومفيداً .

وهل يحق لك ان تقول انه لم يستجبك حين لا يحقق رغبتك؟ أم لا يستجيبك حفاظاً منه على صحتك ؟ احبوا ايها الاخوة بعضكم بعضاً وثقوا بانكم تستجابون ، حين لا تعطون ما تطلبون ، على غير علم منكم . كم من اشياء توضع بين ايديهم لهلاكهم ، وعنهم قال بولس الرسول : « الى شهوات قلوبهم اسلمهم الله »[١] يطلب انسان مالاً كثيراً فيعطاه ؛ ولكن لهلاكه . يوم كان فقيراً كان مطمئناً ولكن يوم اثرى وقع فريسة همٍّ كبير . استُجيب طلبه انما لهلاكه. طلب المال فحصل عليه وجلب لنفسه مشاكل اللصوص . ويوم كان فقيراً ، كان مرتاحاً ، بمنأى عن هذه الهموم . تعلموا ان تسألوا الله كما تسألون طبيباً فيعمل لكم ما يراه نافعاً . انت تكشف له عن دائك اما هو فيصف لك العلاج . حافظ على المحبة لانه يريد ان يبتر وان يكوي . واذا لم يستجب لتوسلاتك برغم صراخك بل ظل يبتر ويكوي ويعذب فلأنه يعلم مدى تفشي المرض فيك.

---

١) رومية ١ : ٢٤

انت تريد ان يرفع يده عنك اما هو فيرى جذور المرض ويعرف الى اين يجب ان يدخل. انـــه لا يستجيبك ولا يحقق رغباتك ضناً منه بصحتك وعافيتك. ثقوا ايها الاخوة بان قول الرسول هذا، حق هو، «فانا لا نعلم ماذا نصلي كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بانات لا توصف»[1]. وما معنى «ان الروح يشفع في القديسين»؟ او ليست المحبة التي فينا هي من عمل الروح القدس؟ الرسول عينه يقول: «ان محبة الله مفاضة في قلوبنا بواسطة الروح القدس الذي اعطيناه»[2]. المحبة تئن والمحبة تصلي والذي اعطاناها لا يسعه ان يسد اذنيه عن صوتها. اطمئنوا ايها الاخوة، ان طلبت المحبة اصغى الله لانها لا تعمل سوى ما تراه ملائماً. وعليه فكل ما نسألها نعطـــاه. لقد قلت لك انك ان وقفت من ناحية الخلاص فلا مجال للسؤال واما ان وقفت موقفاً مغايراً للخلاص فامامك سؤال خطير، قد يهيب بك الى ان تلفظ حكماً خاطئاً على بولس الرسول القائل: «ننال كل ما نطلب لانا لوصاياه حافظون وتحت نظره عاملون بمـــا يرضيه تعالى وتحت نظره «اي باطنياً حيث يرى الله وحده».

٩ — وما هي وصاياه؟ اوصانا على حد قول يوحنا بان نومن باسم ابنه يسوع المسيح وبان نحب بعضنا بعضاً. تلك هي وصيته حتى ان من يخالفها يخطأ خطيئة يتنزه عنها كل من كان من الله مولوداً. ولا يطلب ممَّن يحفظ وصاياه سوى المحبة؛ ومن يحفظ كلامه يثبت فيه وهو كذلك. ونحن نعرف انه مقيم فينا بالروح

---

١) رومية ٨: ٢٦، ٢٧

٢) رومية ٥: ٥

القدس الذي يؤتي الانسان المحبـــة . ولهذا ، لما تكلم يوحنا عن المحبة قال « ان محبة الله مفاضة في قلوبنا بالروح القدس الذي اعطيناه » لقد تكلم عن المحبة فقال ، علينا ان نسأل قلبنا امام الله اذا كان لا يبكتنا فيشهد بان الخير الذي نعمله ، بدافع من المحبة الاخويـــة نعمله . وفي سياق كلامه قال ايضاً « هذه هي وصيته ان نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً . وكل من يعمل بموجب وصيته يثبت في الله والله يثبت فيه » . ونحن نعرف انه فينا مقيم بالروح القدس الذي اعطيناه . وعليه فان وجدت فيك المحبـــة فاعلم ان روح الله فيك ليعطيك الفهم . وهذا امر ضروري جداً .

١٠ — كان الروح يحل في الازمنة الاولى على المؤمنين فينطقون بلغات لا عهد لهم بها البتة حسب ما كان الروح القدس يعطيهم ان ينطقوا؛ فكانت تلك الآيات مناسبة للعصر . كان من المناسب ان يظهر الروح القدس في ذلك الزمن بشكل السنة لانه كان على المؤمنين ان يذيعوا في الارض كلهـــا ، الانجيل ، بواسطة تلك الالسن. كانت آية ثم انقضت. وهل ننتظر اليوم ممَّن قبلوا الروح القدس ، بوضع الايدي ، ان ينطقوا باللغات ؟ وهل ينطق باللغات الاولاد الذين توضع عليهم الايدي؟ واذا لم ينطقوا باللغات ثار ثائركم وقلتم عنهم ، لم ينالوا الروح القدس والا لنطقوا بلغات جديدة كما جرى سابقاً . وان لم تشهد الآيات في ايامنا الحاضرة بحضور الروح القدس ، فما العمل ؟ ومن اين لنا ان نعرف ان هذا الشخص قد قبل الروح القدس ؟

ليسأل كل منا ضميره ، ان احب اخاه ثبت فيه روح الله ،

وليختبر نفسه تحت نظر الله ليرى ان كانت فيه محبة السلام ومحبة الوحدة ومحبة الكنيسة المنتشرة في الارض باسرها. ولا يكتفي بمحبة اخيه الذي يراه لان الذين نراهم كثرة ، واننّا لبوحدة الروح نتحد بهم. واي غرابة في ان لا يكونوا معنا؟ اننا جسد واحد ، ولنا رأس واحد في السماء. ان اعيننا ايها الاخوة لا ترى ذاتها ، فهل يمكننا ان نقول انها لا ترى ذاتها ولا تعرف ذاتها بالمحبة ، اساس الوحدة ، في الجسد؟ من دلائل تعارفها بواسطة المحبة انها تنفتح كلتاها معاً واذا حدّقت اليمنى في نقطة معينة لا بد وان تحدق اليسرى في النقطـــة عينها. حاول ان استطعت ان توجه الشعاع البصري اليميني الى شيء معين بمعزل عن اليسارى فللحال تتجه العينان معاً وتنصبان معاً على الشيء ذاته. انهما تتطلعان الى نقطة واحدة من مكانين مختلفين. وبالتالي فالذين يشاركونك في محبة الله يشتركون معك في النية ذاتها ولا خيرَ ان كانوا منفصلين عنك بالجسد لانكم توجهون معاً ، بالوقت عينه ، نظر القلب الى نور الحقيقة. وان شئت ان تعرف اذا كنت قد قبلت الروح ، فسَلْ قلبك ، وسلْ نفسك ، ان كنت قد نلت السر بدون قوة السر. ان وجدت في قلبك المحبة الاخوية فاطمئن ، لان وجودها برهان عن وجود الروح القدس ، بعد ان قال بولس الرسول ،لقد افيضت محبة الله في قلوبنا بواسطة الروح الذي اعطيناه.

١١ — لا تؤمنوا ، ايها الاحباء ، بكل روح لانه قال: «نعرف انه فينا بالروح الذي اعطيناه» واسمعوا كيف يُعرف الروح: «ايها الاحباء لا تؤمنوا بكل روح بل امتحنوا الارواح لتعرفوا ان كانت من الله» ومن ذا الذي يمتحن الروح؟ انه لامر صعب والخيرُ لنا

ان يقول لنا هو كيف نميز الارواح . لا تخافوا لكن انظروا اولاً واسمعوا ، تأملوا كيف ان الهراطقة ينطلقون من هنـــاك باتهاماتهم الباطلة . اسمعوا وانظروا يوحنا يقول لكم: « لا تؤمنوا ايها الاحباء بكل روح بل امتحنوا الارواح التي من الله » .

دعي الروح القدس في الانجيل ماء حين هتف الرب قائلاً: « من كان عطشان فليأت الي ويشرب » ومن يؤمن بي تجر من بطنه انهار ماء الحياة ويشرح الانجيل كلام الرب هذا مكملاً « يقول هذا عن الروح الذي سوف يقبله من يؤمنون به « ولمَ لمْ يعمد الربُ الكثيرين ؟ ولم قال يوحنا : « لم يكن الروح القدس قد اعطي لان الرب لم يكن قد تمجد؟ »[1] قبلوا العماد دون الروح القدس الذي ارسله الرب اليهم يوم العنصرة من علياء سمائه لان ارسال الروح القدس كان منوطاً بتمجيد السيد . ولكنه قبل ان يمجد الرب وقبل ان يرسل الروح دعا الناس الى الاستعداد لقبول الماء الذي قال عنه: « من كان عطشان فليأت الي وليشرب » ومن يؤمن بي تجر من بطنه انهار ماء الحياة . وما معنى انهار الحياة؟ وماذا يعني ذاك الماء ؟ « لا يوجهن احدٌ الي سؤالاً بل الى الانجيل يوجه سؤاله » هذا قاله عن الروح الذي سوف يقبله من يؤمنون به « ان ماء السر شيء والماء المكنّى عنه بروح الله شيء آخر » ماء السر منظور وماء الروح غير منظور . ماء السر يغسل الجسد ويجري في النفس ما يعنيه في الجسد وبه تتطهر النفس وتخصب. وذاك هو روح الله الذي لم يستطع ان يناله الهراطقة والمنشقون عن الكنيسة . وكل الذين لم ينسلخوا عنه بصراحة بل ، عن طريق

---

١) يوحنا ٧ : ٣٧-٣٩

الاثم ، راحوا يدورون في الداخل كالتبن ؛ لان الذين لم يقبلوا الروح ليسوا قمحاً . سمّى الرب هذا الروح ماء ولذا سمعناه يقول في رسالته « لا تؤمنوا بكل روح » ولذلك يشهد ايضاً سليمان حين يقول : « عن مياه الغرباء امتنع »[1] وما هي هذه المياه ؟ الروح ؟ . وهـل تعني دوماً الروح ؟ كلا ، انها تعني احياناً العماد واحياناً العقل . وانك لتجد في متن من الكتاب المقدس ما يلي : « العقل ينبوع حياة لصاحبه »[2] امثال ١٦–٢٢ . وبالتالي فللماء معان مختلفة ، وفقاً لمختلف مقاطع الكتاب المقدس . امّا هنا فالماء يعني الروح القدس لا استناداً الى شرحنـا الخاص بل الى شهادة الانجيل القائل : « هذا قاله عن الروح الذي سوف يقبله من يؤمنون به » ان كان الماء هنا رمزاً للروح القدس وان كانت هذه الرسالة تقول : « لا تؤمنوا بكل روح بل امتحنوا الارواح لتعرفوا هل هي من الله » وجب علينا ان نفهم قول الحكيم بالمعنى ذاته « عن المياه الغريبة امتنع ومن الينبوع الغريب لا تشرب » وما معنى « لا تشرب من الينبوع الغريب » ؟ معناه ، لا تؤمن بروح غريب .

١٢ – علينا بعد هذا كله ان نمتحن روح الله . صحيح ان يوحنا يعطينا آية ولكنها صعبة التفسير ؛ ولكي نفهمها علينا ان نعود الى المحبة وهي تعلمنا رسم الله . وما رأى يوحنا بالموضوع ؟ « امتحنوا الارواح لتعرفوا ان كانت من الله ؛ لان كثيرين من الانبياء الكذبة جاؤوا الى هذا العالم ومن بينهم الهراطقة والمنشقون » . وكيف نمتحن الارواح ؟ « بهذا نعرف الله ؟ » افتحوا آذان قلوبكم ،

---

١) امثال ٩ : ١٨

٢) امثال ١٦ : ٢٢

كنا في الماضي نتعب ونقول ، من يعرف ومن يميز ؟ اليكم الآية التي يعطيناها يوحنـــا ، بهذا يعرف روح الله وهو ان كل روح لا يعترف بان يسوع صار بشراً ليس من الله فهو المسيح الدجال . لقد سمعتموه يقول انه آت قريباً في حين انه منذ الان في العالم. فتحنا آذاننا لنتعلم تمييز الارواح ويبدو ان ما سمعناه منه لا يساعدنا على تمييزها . وماذا يقول ؟ « كل روح يعترف بان يسوع المسيح صار بشراً هو مولود من الله » ونستنتج بالتالي ان روح الهراطقة من الله لانهم يعترفون بان يسوع صار بشراً . وها انهم يواجهوننا قائلين ، انتم ، ليس فيكم روح الله ، اما نحن فبلى لانا نعترف بان يسوع صار بشراً ؛ بيد ان يوحنا قال ، كل من لا يعترف بان يسوع صار بشراً ليس فيه روح الله . سل تباع اريوس والاونوميين والمكدونيين والكاتافريجيتين وتباع نوفاسيان فانهم جميعهم يعترفون بان يسوع قد صار بشراً . وهل في البدع ، التي ذكرنا ، روح الله ؟ او ليسوا حقاً انبياء كذبة ، اوليس في تعاليمهم رياء واغراء ؟ اجل ، انهم مسحاء كذبة هؤلاء الذين خرجوا من بيننا دون ان يكونوا منا .

١٣ ـ وما العمل ؟ وكيف نميز ؟ اسمعوا لي ، فلنذهب بقلب واحد ولنقرع بابه . ان المحبة يقظة ، هي تقرع وهي تفتح ، وباسم سيدنا يسوع المسيح سوف تفهمون . لقد سمعتم ما جاء آنفاً بان من انكر ان يسوع المسيح قد صار بشراً فهو مسيح دجال وتساءلنا معاً انذاك قائلين ، ومن ينكر ؟ لا نحن انكرنا ولا هم انكروا . انما وجدنا ان البعض ينكرون ذلك في اعمالهم مستشهدين بكلام بولس الرسول : « يعترفون بانهم يعرفون الله وينكرونه في اعمالهم »[1]

---

١) تيطوس ١ : ١٦

فلنعمل الآن على معرفة ذلك معتمدين الاعمال لا الاقوال . ومن هو الروح الذي ليس من الله ؟ هو الذي ينكر ان يسوع المسيح قد صار بشرًا . ومن هو الروح الذي من الله ؟ هو الذي يعترف بان يسوع قد صار بشرًا . استمسكوا بالاعمال ايها الاخوة واطرحوا عنكم الكلام وجعجعته ، ان بحثنا معاً لماذا صار المسيح بشرًا عرفنا من ينكر ذلك وان توقفنا منه على الكلام وجدنا عددًا من ذوي البدع يعترفون بان المسيح صار بشراً في حين ان الحقيقة تقنعهم بأنهم كذابون ، ولمَ صار المسيح بشرًا ؟ اليس هو الله ؟ او لم يكتب عنه : « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله؟ »[1] او ليس هو الذي قات الملائكة ولا يزال يقوتهم؟ او ليس هو ذاك الذي جاء الى ارضنا دون ان يبتعد عن السماء؟ او ليس هو ذاك الذي صعد الى السماء دون ان يتخلى عنا ؟ ولم جاء بشرًا ؟ ليظهر لنا رجاء القيامة . كان الله ثم صار بشرًا لانه لم يكن باستطاعته ان يموت كإله . اما الجسم فيموت . ولهذا صار بشرًا لكي يموت عنا . وكيف ذلك ؟ « ما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه . » عن محبة صار بشرًا ، ومن لم تكن فيه المحبة ينكر ان المسيح قد صار بشرًا . والآن ، سل جميع المبتدعين عن هذا الامر قائلاً ، هل صار المسيح بشرًا ؟ نعم ، هذا ما نؤمن به وبه نعترف . وانكم تنكرونه ، وكيف ننكره ؟ الا تسمع اننا نعلنه بتأكيد . كلا ، اني ابرهن لكم انكم تنكرونه . بشفاهكم تعلنون وبقلوبكم تنكرون . بكلامكم تعلنون وباعمالكم تنكرون . وكيف ننكره في اعمالنا ؟ صار المسيح

---

1) يوحنا ١ : ١

بشراً ليموت عنا . وبموته عنا اعطانا درساً عظيماً في المحبة « ما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه »[1] لستم تحبون طال ما انكم تمزّقون الوحدة خدمةً لمآربكم . انطلاقاً من هذا المبدأ افهموا ما هو روح الله . اضربوا على هذه الاواني الخزفية وجسوها لتعرفوا ان كانت قد انكسرت ام هي ترن رنين الاناء المكسور . انظروا هل تعطي صوتاً قوياً وهل فيها محبة ؟ تسلخون نفوسكم عن وحدة الارض وتمزقون الكنيسة بانقساماتكم ، تمزقون جسد المسيح الذي صار بشراً ليجمع ؛ وتصرخون عالياً لتشتتوا . روح الله اذا يقول ان المسيح صار بشراً ويعلنه بالاعمال لا بالكلام وبالمحبة لا باللسان . اما الذي ينكر ان المسيح قد صار بشراً فليس روح الله فيه لانه ينكر ذلك في حياته واعماله لا في كلامه واقواله . وبالتالي يتضح لنا ايها الاخوة كيف نعرف روح الله . كثيرون ، يقيمون داخل الكنيسة دون ان يكونوا منها . اما الذي هو خارجها فهو من كان بالحق خارجاً عن الحقيقة .

١٤ – اتريدون برهاناً عن ان يوحنا يعتمد الاعمال ؟ ها هو « كل روح يحل المسيح الذي صار بشراً ليس من الله » وماذا يعني بكلمة « يحل » ؟ المسيح جاء ليجمع وانت جئت لتحل . انت جئت لتباعد بين اعضاء المسيح وكيف لا تنكر انه صار بشراً انت الذي تقضي على وحدة الكنيسة ؛ وهو جاء ليجمع شملها ؟ اذاً ، انت ضد المسيح ؛ وانت مسيح دجّال . اكنت داخلاً ام خارجاً عن كنيسة المسيح فانت مسيح دجال انما حين تكون في الداخل تختبئ ، وحين تخرج تظهر نفسك . انت تحل

---

١) يوحنا ١٥ : ١٣

يسوع منكرًا انه ليس بشرًا ؛ لهذا لست من الله . وبهذا المعنى قال الانجيل : « من يحل احدى هذه الوصايا ويعلم هكذا يدعى صغيرًا في ملكوت السماوات » وما معنى يعلم ؟ بالاعمال يحل الانسان وبها يعلّم « تعظ الناس بالامتناع عن السرقة وانت تسرق » وكل من يسرق يحل بالاعمال وكاني به يعلم ذلك ولذا فهو يدعى صغيرًا في ملكوت السماوات ، اي في الكنيسة الحاضرة . وعن امثاله قيل : « اسمعوا اقوالهم ولا تعملوا اعمالهم » واما من عمل وعلّم هكذا فهو يدعى عظيماً في ملكوت السماوات والسيد هنا يستعمل كلمة عمل ضد كلمة حلّ — اي لم يعمل — والعمل هو التعليم . وبالتالي فكل من لا يعمل يحل . يعلمنا ان نستنطق الاعمال ؛ لا ان نؤمن بالكلام فقط . ان غموض الموضوع يفرض علينا ان نتوسع كثيرًا في شرحه كي تدرك كلام الله العقول البطيئة الفهم من اخواننا ؛ لانهم جميعاً مشترون بدم المسيح . اني اخاف الا انهي في هذه الايام شرح الرسالة كما كنت وعدتكم ؛ ولكن عملاً برغبة الرب اترك قسماً منها الى ما بعد لئلا اثقل على عقولكم بغذاء كثير .

المقالة السابعة | اللهُ محبَّة

١ — ان عالمنا الراهن ، هو للموءمنين الباحثين عن الوطن ، بمثابة الصحراء للشعب الاسرائيلي . لقد تاهوا حقاً وضلوا في بحثهم عن الوطن ؛ ولكنهم لم يضلوا حين قادهم الله . كانت شريعة الله لهم سبيلاً . وطوال سفرهم الذي استغرق اربعين سنة ما توقفوا ؛ وذلك امر لا يجهله احد . تأخروا في سيرهم ولم يتخلَّ الله عنهم بل كان يدربهم . ويعدنا الله تعالى ، بعذوبة لا توصف ، وخير فائق ، كما جاء في الكتاب ورددنـــاه غالباً « بما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولا خطر على قلب بشر »[1] . بواسطة الاشغال الزمنية نتدرَّب وبواسطة تجارب الحياة نتعلَّم . اما ان ابيتم ان تموتوا عطشاً في هذه الصحراء فاشربوا من المحبة : هذا الينبوع الذي اقامه الرب في الصحراء كيلا تخورَ قوانا في سفرنا وحتى ، اذا وصلنا الى وطننا ، نرتوي منه .

١) ١ كور ٢ : ٩

قرأنا الانجيل على مسامعكم منذ هنيهة وحديثي اليكم الآن سيكون عن المحبة. اقمنا عهداً مع الله في صلاتنا حتى اذا طلبنا مغفرة خطايانا غفرنا نحن ايضاً لمن خطىء الينـا، ولا يغفر الا المحبة. ان نزعتَ المحبة من قلبك حلّ الحقدُ محلها ونسي كيف يغفر. اما ان أقامت فيه المحبة تحقّق الغفرانُ ونمت هي في سعة وبحبوحة. تأملوا كيف ان هذه الرسالة بكاملها لا تأمرنا الا بالمحبة؛ ولا يحق لنا ان نكرهها لكثرة تردادها. واي شيء نحب، ان كرهنا المحبة؟ وكيف لا نحبُّها وهي التي تحبب باقي الاشياء الينا. انها لحقيقة باقية في قلبنا، عالقة على شفاهنا.

٢ — انتم من الله ايها الابناء وقد غلبتم؛ ومن غلبتم، سوى المسيح الدجال؟ لقد قال يوحنا آنفاً: «كل من يحل يسوع وينكر انه قد صار بشراً فهو ليس من الله» لقد شرحنـا لكم، لو تذكرون، ان الذين يتجاوزون المحبة ينكرون ان يسوع المسيح قد صار بشراً. لم يأتِ عن حاجة، بل، بدافع محبة جاء. ان المحبة التي يوصينا بها في انجيله هي هذه التي يطلب منا ان نعمل بموجبها «وما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه»[١]. وكيف يستطيع ابن الله ان يبذل نفسه عن نفسه ان لم يلبس الجسد الذي به يستطيع ان يموت؟ وكل من خالف المحبة اياً كان كلامه انكر في حياته ان المسيح جاء بالجسد وبالتالي فهو مسيح دجال انّى حل او دخل. وماذا يقول لابناء الوطن الذي اليه نتوق؟ «لقد غلبتموه» وكيف ذلك؟ «غلبتم لأنه من فيكم اعظم ممّن هو في العالم» لقد تغلبتم عليـه. وخوفاً من ان

---

١) يوحنا ١٥ : ١٣

يعزوا النصر لقواهم الخاصة فتسيطر عليهم كبرياؤهم – حقاً ان كل من نفخه الشيطان بكبريائه لا بد من ان ينهزم امامه – ورغبة منه في ان يحافظوا على التواضع قال يوحنا: «لقد غلبتموه» كل من يسمع كلمة «غلبتموه» يشمخ برأسه ويقف منتظراً الثناء. لا تفاخرْ بل انظرْ الى ما ينتصر فيك لان الذي فيكم اعظم ممن هو في العالم. كن وديعاً متواضعاً واحمل ربك كالفرس تحمل فارسها. من مصلحتك ان يسأل هو وان يوجه، لانه ان لم تكن لك الفرس رفعت رأسك وهجمت؛ انما الويل لك اذا كنت وحيداً، لا دليل لك، فالحرية التي لك تلقيك بين ارجل الحيوانات طعاماً لها.

٣ – هؤلاء هم من العالم، ومن هم؟ المسحاء الكذبة. لقد عرفتموهم؛ والا فسوف تعرفونهم. لا يعرفهم من كان منهم. من العالم هم، ولذا يتكلمون عن العالم؛ والعالم يعرفهم. ومن هم المتكلمون عن العالم؟ العاملون بخلاف المحبة. اسمعوا جيداً. لقد سمعتم قول الرب «ان غفرتم للناس خطاياهم يغفر لكم ابوكم السماوي زلاتكم والا فابوكم السماوي لا يغفر لكم زلاتكم»[1]. انه لكلام حق والا فحلّه ان استطعت. ان كنت مسيحياً مؤمناً بالمسيح فاسمعه يقول: «انا الحق»[2] كلام لا غش فيه. والان فاستمع الى ما يقول الناس عن العالم، ماذا؟ اولست مستعداً لان تنتقم لنفسك؟ ان رفضتَ، تباهى بما صنع لك. اجعله يشعر بانه امام رجل. اقوال نسمعها كل يوم. الناطقون بهذه الاقوال يتكلمون عن العالم فيسمع

---

١) متى ٦: ١٤-١٥

٢) يوحنا ١٤: ٦

لهم ، ولا يتفوه بها الا محبُّو العالم ولا يسمعها سوى محبي العالم.
من احب العالم اهمل المحبة وانكر ان يسوع جاء الى العالم بشراً.
اهكذا صنع يسوع الذي جاء بشراً ؟ وهل انتقم ممن صفعوه ؟ الم يقل من أعلى صليبه «اغفر لهم يا ابت لانهم لا يدرون ماذا يصنعون ؟ »[1] اذا كان القدير ابى ان يهدد ، فمالك وانت المأمور تهدد وتثور ؟ هو اراد ان يموت فمات دون ان ينطق بكلمة تهديد، وانت تجهل ساعة موتك وتهدد ؟ .

٤ — « نحن من الله » ولمَ ؟ ألأن فينا المحبة ؟ نحن من الله ومن عرف الله سمع منا ومن ليس منه لا يسمع منا . بهذا نميّز بين روح الحق والضلال لان من يسمع منا كان فيه روح الحق ومن لا يسمع منا كان فيه روح الضلال . فلنسمع تعاليمه ولنصغ اليه دون سواه، لانه بروح الحق يعلّم، ولنبتعد عن المسحاء الدجالين وعن محبي العالم وعن العالم نفسه . ان كنا قد ولدنا ايها الابناء من الله فلنسمع ما يقول : « نحن ، من الله ولدنا ومن احب اصغى الينا ومن ليس من الله لا يصغي الينا ، بهذا نميز بين روح الحق وروح الضلال » . اننا اليه مستمعون لان من يحب الله يصغي اليه ومن لا يعرف الله لا يصغي اليه . بهذا يتميز روح الحق من روح الضلال . لنرَ الان ماذا يريد ان يعلّمنا وماذا يريد ان نتعلَّم منه . ايها الاحباء ، فلنحب بعضنا بعضاً . ولمَ ؟ اترى لان انساناً يعلّمنا ؟ لان المحبة هي من الله . يوحنا اوصى كثيراً بالمحبة حين قال : « انها لمن الله » وسوف يقول اكثر مما قال فلنصغِ اليه بانتباه وهو القائل منذ هنيهة: « المحبة من الله ومن يحب فهو من

---

١) لوقا ٢٣ : ٣٤

الله مولود . واللهَ يعرف ، ومن لا يحب فلا يعرف الله » . ولمَ ؟ « لان الله محبة » وهل يستطيع ان يقول ايها الاحباء اكثر مما قال؟ حسبُ المحبة مديحاً ، في الكتاب المقدس ، وفي هذه الرسالة ، ما قاله الروح القدس عنها ، « الله محبة » .

٥ — وكل ما هو ضد المحبة فهو ضد الله ولا يزعمنَّ احد قائلاً : حين اكره اخي ارتكب خطيئة ضد انسان . تأملوا ، انه لسهلٌ على الانسان ان يخطأ ضد قريبه ولكن هل استطيعُ الا اخطأ ضد الله ؟ وكيف لا نخطأ ضد الله حين نخطأ ضد المحبة ؟ « الله محبة » وهل نحن قلنا ذلك ؟ ان كنا نحن القائلين : « ان الله محبة » فلربما شك احد وقال ، ماذا يقول ؟ وماذا يريد بقوله ان الله محبة . الله اعطانا المحبة وهو وهبنا اياها . من الله المحبة والله محبة . بيدكم ايها الاخوة كتب الله . وهذه الرسالة هي رسالة اصلية تعترف بها الامم وتتلوها الشعوب وهي بنت العالم كله . وفيها تسمع روح الله يقول « الله محبة » اتجروءْ بعد اليوم ان تخالف ارادة الله والا تحب اخاك ؟ .

٦ — وكيف نوفق بين قولٍ سبق فأعلن ان المحبة هي من الله ، وبين هذا وهو ان« الله محبةً » حقاً ان الله هو آب وابـــن وروح قدس . الابن اله من اله والروح القدس اله من اله وهؤلاء الثلاثة هم اله واحد لا ثلاثة . وان كان الابن هو الله والروح القدس هو الله وان كان هو يحب من يسكن فيه الروح القدس فالمحبة اذاً هي الله انما اله من اله . في هذه الرسالة تجد النقطتين : الله محبة ، والمحبة هي من الله . لا تقول المحبة عن الآب وحده انه من الآب . وحين تسمع لفظة « من الله » تفهم انها تدل إما عن الابن

واما عن الروح القدس لان الرسول قال حقاً « ان محبة الله قد افيضت في قلوبنا بواسطة الروح القدس الذي اعطيناه » فلندرك ان الروح القدس هو في المحبة وانه هو عينه الذي لم يستطع الاشرار ان يقبلوه وهو الذي قال عنه الكتاب المقدس «فليكن لك دون سواك ينبوع مائك » فلا يشاركك فيه غريب والذين لا يحبون الله، غرباء ومسحاء كذبة ، وان دخلوا الكنائس فلا يحصون مع ابناء الله ولا يحق لهم ان يشربوا من ينبوع الماء ذاك . الشرير ينال العماد ويحوز موهبة النبوءة . شاوول نال موهبة النبوءة وبرغم ذلك فقد اضطهد داود وامتلأ من روح النبوءة وتنبأ . والشرير عينه يتناول جسد المسيح ودمه وعن امثاله قال السيد : « من يأكل جسدي ويشرب دمي وهو لا يستحقه يأكل ويشرب دينونة لنفسه »[١] والشرير يحمل اسم المسيح ويدعى مسيحياً برغم انه شرير وعن امثاله قال السيد : « يحتقرون اسم الله »[٢] وبالتالي يستطيع الانسان ان يحصل على هذه الاسرار كلها ويبقى شريرًا بيد انه لا يستطيع ان يحوز المحبة ويكون شريرًا . تلك هي الهبة الخاصة وذاك هو الينبوع الفريد . روح الله يدعوكم الى ان تشربوا منه لترتووا .

٧ – على هذا النحو ظهرت محبة الله لنا وهذا ما يهيب بنا الى ان نحب الله . وهل نستطيع ان نحبه قبل ان يحبنا .؟ ان توانينا عن محبته فلا يجوز ان نتوانى عن مبادلته الحب بالحب . لقد سبق فاحبنا ولم يكن كذلك بالنسبة الينا . لقد احبنا خطأة فمحا خطيئتنا واحبنا مرضى فداوى مرضنا . اذًا « فالله محبة » وظهرت

---

١) ١ كور ١١ : ٢٩
٢) حزقيال ٣٦ : ٢٠

محبة الله لنا حين ارسل ابنه الوحيد الى هذا العالم ، حياةً للعالم. والسيد قال: « ما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه » ودليلنا على ان المسيح يحبنا هو انه مات لاجلنا. اما عن محبة الآب لنا فكيف نبرهن؟ ارسل ابنه ليموت عنا. وبهذا المعنى قال بولس الرسول : « وهو الذي لم يوفر ابنه الوحيد بل اسلمه من اجلنا فكيف لا يمنحنا كل شيء به » ؟ الآب اسلم يسوع ويهوذا اسلمه ايضاً. اليس في الامر وجهٌ للشبـه؟ يهوذا خائن، اذاً؛ ايصحّ ان نقول ان الله الآب خائن؟ حاشا. انا لا اقول ذلك، بل الرسول يقول: « وهو الذي لم يوفر ابنه الوحيد بل ، اسلمه من اجلنا جميعاً » اسلمه الآب فاسلم الابن ذاته وعنه قال الرسول : « وهو الذي احبني وبذل نفسه من اجلي »[1] ان كان الاب قد اسلم الابن وان كان الابن قد اسلم ذاته فما هو دور يهوذا ؟ تسليم من جهة الآب وتسليم من جهة الابن وتسليم من جهة يهوذا . والموضوع واحد . ولكن بماذا يمتاز الآب الذي يسلم ابنه ، عن الابن الذي يسلم ذاته ، عن يهوذا عينه الذي يسلّم؟ قام الآب والابن بهذا الامر عن محبة . اما يهوذا فقد قام به عن خيانـة. تعرفون انه لا يجوز ان نتوقف عند الفعل في الانسان بل عند نية الفاعل وارادته. يلتقي الآب ويهوذا من حيث الفعل بيد أنّا نبارك الآب ونلعن يهوذا. ولماذا ؟ نبارك المحبة ونلعن الاثم. واي خير لم ينله الجنس البشري بفضل المسيح الذي أسلم الى الموت ؟ ابهذا فكّر يهوذا حين اسلمه ؟ بخلاصنـا فكر الله حين افتدانا ؛ وبالفضة فكر يهوذا حين باع الرب . الابن فكر

---

١) غلاطية ٢ : ٢٠

بالثمن الذي دفعه في سبيلنا . واما يهوذا فقد فكر بالفضة التي قبضها ثمناً ليسوع . والاعمال تقاس بالنيات . ان قسنا عملاً ما بمقياس النية التي تدعو اليه وجدنا فيه ما يحَبُّ وما يُشجب ، ما يقبَّح وما يُمجَّد. ما اعظم المحبة. انها وحدها تعرف قيمة الاعمال البشرية وتميزها .

٨ — عن اعمال متشابهة تكلَّمنا. ففي عدة اعمال نجد من يقسو عن محبة ويشفق عن خبث ؛ والد يضرب ابنه ونخَّاسٌ يلاطف عبده. لو خيّرتَ بين هذين الامرين، بين القسوة والشفقة فماذا تفضل ؟ ومن ذا الذي لا يُؤثرُ الشفقةَ على الضرب؟ انظر الى الاشخاص تجدْ ان المحبة تضرب والاثمَ يُشفق. تأملوا في ما نوصيكم به ، تتميز اعمال البشر بعضها عن بعض بالمحبة التي تصدر تلك الاعمال عنها . كم من عملٍ له مظهر صلاح ، بيد انه لا ينبثق عن المحبة اصلاً. للاشواك ايضاً ازهارها؛ هناك اعمال تبدو قاسية وجافة بيد انها تهدف الى الاصلاح بوحي من المحبة. خذ هذه الوصية الوجيزة واعمل بموجبها، «أحببْ واصنع ما شئت» ان صمتَّ فاصمت عن محبة وان تكلمت فتكلم عن محبة وان اصلحت فاصلح عن محبة . فلتتأصل في قلبك المحبة اذ لا يخرج منها الا كل خير .

٩ — ذاك هو قوام المحبة ؛ واظهر الله محبته لنا حين ارسل ابنه الوحيد الى عالمنا حياةً لنا. وهذا هو قوام محبته ، ما احببناه نحن بل هو احبنا ؛ وما احببناه اولاً بل هو احبنا ليجعلنا نحبه، ارسل ابنه ذبيحة استغفار عن خطايانا ، قرباناً ومقرباً . لقد قدمه قرباناً تكفيراً عن خطايانا ، واين وجد القربان والضحية النقية التي

شاء ان يقدمها؟ ما وجد الا نفسه فقربها. ايها الاحباء، ان كان هذا هو حب الله لنا فعلينا ان نحب بعضنا بعضاً. انه قال لبطرس: « يا بطرس اتحبني ؟ » فاجابه بطرس: « اني احبك » فقال: « ارع نعاجي ».

١٠ – لم يرَ اللهَ احدٌ. ومن حيث انه ليس منظوراً فلا يمكن ان نبحث عنه، بالعين، بل بالقلب. طال ما انه يلزمنا كي نرى الشمس ان ننظف عيننا الجسدية لنرى النور، كذلك، ان اردنا ان نرى الله، علينا ان ننظفَ العين التي تمكّننـا من رؤيته. واين هي تلك العين؟ اسمع الانجيل « طوبى للانقيـاء القلوب فانهم يعاينون الله »[١] بيد انه لا يجوز لانسان ان يتكل على حاسة العينين ليكوّن لنفسه فكرة عن الله لانه اما ان يتصوره جسماً ضخماً وعظمة لا متناهية منتشرة في الجو كالنور الذي تراه اعيننا موزعاً الى ما امكن من البعيد البعيد واما ان يتصوره بجسم شيخ جليل. اياك وتلك التصورات. ان شئت ان ترى الله فكوّن عنه هذه الفكرة لنفسك « الله محبة » فما هو وجه المحبة؟ شكلها؟ قوامها؟ رجلاها؟ يداها؟ لا احد يعرف. رجلاها يقودانك الى الكنيسة ويداها تعطيان الفقراء وعيناها تعنيان بالمساكين «طوبى لمن يعنى بامر الفقراء والمساكين »[٢] وعن اذنيها قال الرب: « فمن له اذنان سامعتان فليسمع »[٣] انها لاعضاء لا تتميز من حيث المكان بل من حيث العقل الذي بواسطته يرى كل شيء مـن كانت فيه المحبة. اسكن فيها تسكن فيك وحلّ فيها تحل فيك.

---

١) متى ٥ : ٨
٢) مزمور ٤٠ : ٢
٣) لوقا ٨ : ٨

ايها الاخوة ، من الذي يحب ما لا يرى ؟ ولم تقفون وتهتفون وتفرحون لمديح المحبة؟ وما رأيتم؟ وهل عرضت لكم الوانـــاً ؟ ام قدمت لكم ذهباً وفضة؟ وهل كشفت لكم على حلى كنز ام عما هو شبيه بذلك؟ وهل تغير وجهي حين كنت اكلّمكم؟ اني احتفظ بهذا الوجه وبهذا الشكل عينه الذي منه انطلقت حين رحت اكلمكم. وانتم كذلك حافظتم على الشكل عينه الذي به جئتم الى هذا المكان. تمدح المحبةُ فتهتفون مع انكم لا ترون شيئاً. يطيب لكم ان تمدحوها فاحفظوها في قلوبكم. اصغوا جيداً ايها الاخوة الى كلامي ، احرضكم ، ما استطعت ، على ان تبحثوا جادّين عن كنز ثمين. اذا وجدتم امام اناء من الذهب المزركش، متقن الصنع ، فملك على مجامع قلبكم عملُ الفنان ووزنُ الذهب ولمعانُ المعدن الا يقول كل منكم ، آه لو انه لي. وعبثاً تتمنّون، لانه ليس لكم. واذا اراده احدكم له فقد يحاول ان يسرقه من بيت قريبه. اما المحبة فانها تمدح امامكم ، خذوها ان شئتم ، فهي في متناول يدكم ولا حاجة لان تسرقوها او تشتروها. انها مجانية. خذوها وقلبوها ولا اطيب منها. ان كانت تلك هي حالها ، في الحديث عنها ، فما احلى ما تكون ، حين تصبح ملكاً لنا.

١١ – ان اراد احدكم ، ايها الاخوة ، ان يرعى المحبة فعليه قبل كل شيء ان يفهم انها ليست بالكف عن العمل او بالكسل او بطول الاناة – وبخاصة لا تقوم المحبة بالخمول والميوعة – كلا. ولا تظن انك ان لم تضرب خادمك تحبه ، وان لم تؤدب ابنك تحبه وان لم توبخ جارك تحبه. هذه ليست محبة بل فتور في المحبة. على المحبة ان تسعى للاصلاح والتهذيب. ان كـــانوا صالحين

فافرحوا؛ او اشراراً فوبخوهم واصلحوهم . حذار من ان تحب في الانسان خطيئته بل اياه احب لكونه عمل الله . واما الخطيئة فمن صنع الانسان . احبب عمـل الله واكره عمل الانسان لانك ان احببت هذا اهلكت ذاك وان احببت ذاك نقَّيت هذا وان اضطررت الى استعمال القسوة فليكن حباً بالافضل .

يشار الى المحبـة بالحمامة التي حلت فوق رأس الرب . وبهذا الشكل عينه حل الروح القدس ، وعلينا افاض محبته . ولمَ ؟ ليس للحمامة سلاح انما تحمي فراخها بمنقارها وتضرب بلين . ذاك ما عمله الآب ايضاً ، واذا ما أدب ابنه فحباً به يؤدبه . نرى التاجر يلاطف ويغالي ليبيع بضاعته والوالد يؤدب ليصلح ما اعوج . كونوا هكذا جميعاً . اليكم ايها الاخوة هذه الامثولة وهذه الخطة قاعدة لسلوككم . لكل منكم اولاده او يتوق ان يكون له اولاد حتى اذا قرّ رأيه على الامتناع عن انجاب بنين بالجسد فأنه على الاقل يتوق الى انجاب بنين بالروح . ومن منكم لا يؤدب ابنه ؟ واي ابن لا يؤدبه ابوه؟ لاشك انه يقسو على تربيته . الحب يقسو احياناً والمحبة تقسو ، ولا شدة في قسوتها ، على مثال الحمامة وبخلاف الغراب .

ويخطر ببالي ان اقول ايها الاخوة ان الذين انفصلوا عنا هم الذين خالفوا المحبة . وانهم ليكرهون المحبة كما يكرهون الحمامة بيد ان الحمامة اقنعتهم بأنهم خطأة حين اتت من السماء وانفتحت لها السماوات واستقرت فوق رأس الرب . ولم ؟ لتقول لنا انه « هو الذي يعمد »[1] اهربوا ايها اللصوص وابتعدوا ايها المغتصبون للملك

---

١) يوحنا ١ : ٣٣

المسيح . لقد تجرأتم فاعلنتم ملكيتكم على المنـــاطق التي تدعون السيطرة عليها . اما هو فأنه يعرف حقوقه وبها يطالب . كل انسان يعود الى الكنيسة الكاثوليكية لا يبطل عماده لئلا يبطل حقه في التملّك . وماذا يجري في الكنيسة الكاثوليكية ؟ الكنيسة تعترف له بالحق فيستلم المالك الشرعي حقوقه من يد المغتصب .

المقالة الثامنة | محبة الأعداء

١ – المحبة لفظةٌ عذبة وواقعٌ اكثرُ عذوبةً ايضاً. إنّا لا نستطيع ان نتكلم دائماً عنها بسبب مشاغلنا الكثيرة التي تتجاذبنا من كل جهة فلا تترك للساننا مجالاً للتحدث عنها مع انه لا يمكنه ان يجد افضل منها شغلاً. وان كان التحدث عنها باستمرار امراً غير ممكن فباستطاعتنا ان نحيا منها. انا ننشد هللويا ولن نستطيع ان نستمر في هذه الترنيمة مع انها تستلزم ساعة من الزمن، او اقل، بل، بضع دقائق؛ ثم ننتقل الى شيء آخر. ان كلمة هللويا تعني سبحوا الرب وتسبحة الرب بالكلام ممكنة احياناً: اما تسبحته بالحياة فدوماً ممكنة. اعمال الرحمة وعواطف المحبة وقداسة التقوى والطهارة التامة والاعتدال المستمر، فضائل، كلها؛ ومن الضروري الاستمساك بها والاخلاص لها في السر والعلانية، في المجتمع، وعلى انفراد، في الصمت وفي الكلام، في العمل وفي البطالة. من الضروري الاستمساك بتلك الفضائل والاخلاص المستمر لها لانها فضائل باطنية. ومن ذا يقوى على احصائها؟ انها مثل

جيشٍ ، قائده ، في داخلك ، وكما ان القائد مطلقُ الصلاحية، كذلكَ الرب ، يسوع المسيح . فما إن يدخلْ الى باطنك ، الى نفسك ، بالايمان ، حتى يستخدم فضائلك . ان الانسان لا يراها بعينه مع انه يمتدحُها في حديثه . لو لم يحبّها لما امتدحها ؛ ولو لم يرَها لما احبَّها . وطال ما انه من الثابت بان الانسان لا يحبّها ان لم يرها فهذا يعني انه يراها بعينٍ اخرى هي عين قلبه الباطنية. ومن جراء تلك الفضائل اللامنظورة تتحرك اعضاؤنا بشكل منظور. فالرجلان تمشيـــان ، ولكن الى اين ؟ الى حيث توجههما الارادة الحسنة، المجاهدة تحت امرة قائد صالح. واليدان تتحركان للعمل؛ واي عمل ؟ العمل الذي تأمر به المحبة التي افيضت فينا داخلياً بواسطة الروح القدس . والاعضاء ترى حين تتحرك ، وآمرها داخلي لا منظور . ومن ذا الذي يأمر من الداخل ؟ وحده الآمر يعرف من يأمر ويعرف الشخص المأمور .

٢ – لقد سمعتم ذلك ايها الاخوة ، من الانجيل ؛ هذا ، ان كنتم قد فتحتم له اذن جسدكم وقلبكم . وماذا قال ؟ « لا تعملوا اعمالكم الصالحة امام الناس ليروكم »[١] وهل يريد ان نعمل كل صلاح بمعزل عن الناس لئلا يرونا ؟ ان خفت النظارة فلن يكون لك اناس يقتدون بك . عليك ان تظهر امام الناس انما لا يجوز ان تعمل ، ليراك الناس ؛ كما لا يجوز ان تكون غايةُ اعمالك الصالحة الظهورَ امام الناس وكمال فرحك ؛ وكأنك تجني ثمار عملك الصالح ثناء الناس عليك ومدحهم لك بعد ان يروك . ذاك امر لا قيمة له . احتقر نفسك امام المدح الذي يكيله الناس لك ،

---

١) متى ٦ : ١

ليثني عليك ، وحده ، من يعمل فيك . لا تعمل الخير تمجيداً لنفسك بل تمجيداً للذي يعطيك ان تحسن صنعه ؛ لانك ، لذاتك ، لا تستطيع سوى الشر . الله وحده يعطيك القدرة على عمل الخير ، اما الناس الاشرار فانهم متخلفون عن الركب في تفكيرهم ، ان فعلوا خيراً فهم فاعلوه وان شراً فانهم يعزونه الى الله . غيّر وجه هذا الفاسد المعكوس الذي يضع الامور وفقاً لنظام ، جاعلاً ، تحتُ ، ما هو فوق ، والعكس بالعكس . اتريد ان تجعل الله تحت وانت فوق ؟ مسكين انت ، انك تهبط بدلاً من ان ترتفع ؛ لانه هو دائماً فوق . وماذا بعد ؟ هل الخير لك والشر لله ؟ أحر بك ان تقول ، ان شئت قولاً صحيحاً ، الشر لي والخير له . وكلُ ما فيَّ من خير فهو منه لان ما فيَّ شر . ان اعترافاً كهذا ينشط القلب ويلقي اسس المحبة . ان اخفينا اعمالنا الصالحة خوفاً من ان يراها الناس فماذا نصنع بوصية الرب في عظة الجبل حيث قال: « فلتظهر اعمالكم الصالحة امام الناس » ولكنه لم يتوقف عندها بل اردف قائلاً: «ليمجدوا اباكم الذي في السماوات»[١] وماذا قال الرسول ؟ قال : « ولم اكن معروفاً بالوجه لدى كنائس اليهودية التي في المسيح وانما كانوا يسمعون ان الذي كان حينا يضطهدنا هو الان يبشر بالايمان الذي كان حينا يدمره فكانوا يمجدون الله بسببي »[٢] . انكم ترون بولس يظهر نفسه ، لا كسباً لمجد شخصي ، بل تمجيداً لله تعالى ، اعترف بانه كان غاصباً ومضطهداً لكنيسة الله ومملوءاً غيرة وخبثاً ضدها . لم نتهمه نحن بذلك ، بل هو حدثنا عن خطاياه تمجيداً لذلك الذي شفاه منها.

---

١) متى ٥ : ١٦

٢) غلاطية ١ : ٢٢-٢٤

قضت يد الطبيب على المرض الذي استفحل امره ، وقضى ذاك الصوت السماوي على المضطهد وايقظ فيه الواعظ المبشر . قضي على شاوول فعاش بولس . لقد كان شاوول مضطهداً لرجل قديس وللجماعة المسيحيين ثم اصبح اسمه بولس اي « الوضيع » في حين ان شاوول يعني المتكبر المتشامخ. شاوول نفسه اصبح بولس . الا نقول في حديثنا سوف اراك بعد قليل ؟ اسمعوه يقول بعد ان صار وضيعاً « اني انا اصغر الرسل »[1] ثم في محل آخر «انا اصغر القديسين» لقد كان بين الرسل كطرف الرداء . لكنّ كنيسة الامم ، كنازفة الدم ، لمسته ، فشفيت من مرضها .

٣ — هذا ما اقوله، وقلته لكم، ايها الاخوة، وما انا مستعد دوماً الى ان اقوله طال ما اجد الى ذلك سبيلاً . فلتكن اعمالكم تارة بهذا الشكل وطوراً بذاك وفقاً لظروف الزمان واليوم والساعة. ايستطيع الانسان ان يستمر في الكلام ام في السكوت ؟ وهل يستطيع ان يجدد قواه دائماً ام ان يصوم دائماً ؟ وهل يستطيع ان يساعد البائس بخبزه ويكسو العريان ويعود المرضى ويدفن الموتى ويوفق بين المتخاصمين ؟ يستطيع ان يقوم تارة بهذه وطوراً بتلك. افعال تبدأ وتنتهي ، ولكن المبدأ الآمر بها لا يبدأ ولا ينتهي . على المحبة الباطنية ان تدوم ، وعلى اعمال المحبة ان تتم في اوانها «على المحبة اذاً ان تبقى »[2] كما هو مكتوب .

٤ — رب انسان منكم يقول ، ولم لا يحرضنا الا على المحبة؟ منذ ان باشرنا بتفسير رسالة القديس يوحنا ، وحديثه الينا عن

١) افسس ٣ : ٨

٢) راجع عبرانيين ١٣ : ١

المحبة ، « عمن يحب اخاه » وعن وصية المحبة وهي ان نحب بعضنا بعضاً . ما انفك يوحنا يحدثنا عن المحبة الاخوية . ان محبة الله عينها التي يجب ان تملأ قلوبنا تجاه الله قلّ ما يحدثنا عنها بهذا الحماس عينه . اما محبة الاعداء فلا يأتي على ذكرها في الرسالة ، واذ نراه يحرضنـــا على المحبة ويوصينا بها لا يقول لنا بان نحب اعداءنا ؛ انما بمحبة القريب يأمرنا . بيد اننا سمعنا الانجيل يقول منذ هنيهة « ان احببتم من يحبكم فاي اجر لكم اليس العشارون هكذا يصنعون ؟ »[1] فكيف يوصينا يوحنا الرسول بالكمال في محبة القريب في حين ان الرب يقول لنا ان لا نكتفي بمحبة اخوتنا بل ان نشمُل بمحبتنا اعداءنا انفسهم ؟ من وصل الى اعدائه لا يقفز فوق اخوته ، انه لشبيه بالنار تأكل ما حولها ثم تمتد الى البعيد . اخوك اقرب اليك من اي انسان آخر ؛ وكل انسان لا يعاديك اقرب اليك ممن يعاديك . اشمل بمحبتك الأدنيَيْن ولكن اياك ان تدعوها محبة شاملة لانك اذ تحب الادنين تحب ، نوعاً ما ، ذاتك . ابسط محبتك على من لم يصنع لك شرًا وان لم تعرفه ثم تجاوزه الى عدوك واحببه محبة يأمر بها الرب . ولم لم يتكلم يوحنا عن محبة الاعداء ؟ .

٥ — كل محبة وان جسدية تدعى غالباً حباً لان لفظـــة « محبة » تعني ، بخاصة ، الشعور الروحي . ان كل محبة ايها الاخوة تتضمن نوعاً من العطف على من نحب . وليس علينا ان نحب الجميع بهذه المحبة عينها . يمكننا ان نقول اننا نعز او نحب لان السيد المسيح استعمل لفظة احب حين سأل بطرس : « يا بطرس

---

١) متى ٥ : ٤٦

اتحبني ؟ » ليس علينا ان نحب الناس كما يحب الانسان الشره طير السماني فيقتله ويأكل لحمه . حقاً انه يحبه ، ولكن يحبه ليقتله وكل ما نحبه كطعام لنا ، نحبه لنهلكه تجديداً لقوانا .

أهكذا يجب ان نحب الناس محبة مهلكة؟ هناك حب معطاف يدفعنا ، عند الحاجة ، الى ان نعطي من نحبهم حتى اذا لم يكن مجال للعطاء فالعطف وحده كاف لمن نحب .

وما لنا نتمنى للناس البؤس والحاجة لنتمكن من مساعدتهم؟ انك تعطي الجائع خبزاً ولكن من الافضل الا يجوع احد فلا تعطي . وانك تقدم للعريان كساء ، فيا ليت جميع الناس بغنى عن استعطاء الكساء فلا يكونن احد محتاجاً . وانك لتهتم بدفن الموتى ، قرّب الله يوماً لا يموت فيه انسان. وانك لتزيل الخصومات ، قرّب الله يوماً يهيمن فيه سلام اورشليم الابدية فتبطل الخصومات ! لعمري تلك اجوبة على حاجات ضرورية ، ارفع المساكين من بين الناس تتوقف اعمال الرحمة ومتى توقفت اعمال الرحمة فهل تخمد شعلة المحبة ؟ اصدق محبة هي تلك التي تقدمها لانسان سعيد لا يحتاج الى عطاياك . وانها لاصفى محبة واشدها اخلاصاً من سواها لانك حين تخدم بائساً تقصد ان تتسامى امامه وان تستزلمه وهو الذي دفعك الى ان تصنع حسناً . احتاج فاعطيته من خيراتك ، واذ تعطيه تبدو كأنك اسمى منه . تمنَّ على ان تكونا متساويين لتأتمرا بامر ذاك الذي لا يستطيع احد ان يعطيه شيئاً .

٦ ـ هكذا تجاوزت نفس المتكبر حدها وصارت بخيلة «والبخل اصل الشرور » كما قيل ايضاً « الكبرياء اصل كل خطيئة » وقد نتساءل هل يمكننا ان نوفق بين هاتين الجملتين ، اصل الشرور

البخل « واصل كل خطيئة الكبرياء » وايمُ الحق ، اصل الشرور « البخل » . في الكبرياء بخل ، فيتجاوز الانسان حده . وما هو الانسان البخيل ؟ هو الذي لا يقنع بالكفاف . بسبب كبريائه سقط آدم . « في بداية كل خطيئة كبرياء » وهل سقط عن بخل؟ ومن هو اشد بخلاً ممن لم يكتف بالله ؟ نطالع ايها الاخوة ان الله صنع الانسان على صورته ومثاله . وماذا قال الله عن هذا الانسان؟ قال : « يملك على سمك البحر وطير السماء وزحافات الارض » هل قال ، يملك على الانسان ؟ اي ليكن مسلطاً ؛ لقد سلَّطه بحكم طبيعته على سمك البحر وطير السماء وزحافات الارض . ولم اعطاه هذا السلطان الطبيعي على هذه كلها ؟ سلّطه عليها لكونه مخلوقاً على صورته ومثاله . وكيف خلق على صورة الله ؟ انه على صورة الله بعقله وروحه وضميره . انه يدرك الحقيقة فيميز بين العدل والظلم ، ويعرف صانعه وخالقه فيسبحه . عاقل هو كل حكيم . ولذا بعد ان محا قسم من البشر صورة الله من قلوبهم بسبب شهواتهم الاثيمة واطفأوا نوعاً ما ، جذوة الذكاء حين انحطت اخلاقهم ، صرخ الكتاب فيهم قائلاً : « لا تصبحوا كالحصان والبغل اللذين لا ادراك لهما »[1] فوق الحصان والبغل وضعتُك ؛ وعلى صورتي صنعتك ؛ وعليها كلها سلطتك . ولم ؟ لان ليس لها نفس عاقلة ، اما انت فبفضل نفسك العاقلة تدرك الحقيقة وتفهم ما هو اسمى منك . اخضع لمن هو فوقك يخضع لك من دونك . ولكن ، بما ان الانسان قد تخلّى بخطيئته عمن حقّ له عليه واجب الخضوع ، فقد أخضع لمن كان عليه ان يخضع له .

---

١) مزمور ٣١ : ٩

٧ – لاحظوا جيداً هذا النظام : الله ، الانسان ، البهائم . فوقك الله ، ودونك البهائم . اعرف من هو فوقك يعرفك من هو دونك . عرف دانيال ان الله فوقه فعرفت البهائم ان دانيال فوقها . ان لم تعرف من هو فوقك احتقرتَه ، وخضعت لمن هو دونك . كيف اذل كبرياء المصريين ؟ بواسطة الضفادع والذباب . لقد كان باستطاعة الله ان يرسل اليهم اسوداً ولكن الانسان ، وان قوياً ، يخشى بطش الاسد . فبقدر ما كانوا متكبرين بقدر ذلك استخدم الله لاذلالهم اشياء حقيرة ودنيئة ليحطّم صلفهم . لقد عرفت الاسود دانيال لانه كان لله خاضعاً .

والشهداء الذين جاهدوا ضد الوحوش فمزقتهم بانيابها ، الم يكونوا لله خاضعين ؟ وهل كان الرجال الثلاثة وحدهم خدام الله في الاتون الملتهب بعكس المكابيين ؟ عرفت النار في الثلاثة الرجال خدام الله فلم تمسهم بأذى وحفظت ثيابهم في حين انها لم تعرف المكابيين . ايها الاخوة ، عرفت النار المكابيين ايضاً ، انما الحاجة الى امتحان يسمح به الرب ، قضت بذلك ، فقال الكتاب : « ويمتحن الله الذين يرضاهم في مصاف ابنائه »[1] . وهل يستطيع الحديد ايها الاخوة ان يخترق صدر الرب ان لم يكن هو راضياً ؟ وان يعلق على خشبة ان لم يكن هو راضياً ؟ الم تعرفه مخلوقاته ؟ انه فضل ان يعطي المؤمنين به مثلاً في الصبر . وهكذا فـان الله سلم اناساً بشكل منظور وآخرين بشكل غير منظور بيد انه سلمهم جميعاً روحياً ؛ وروحياً لم يتخل عن واحد منهم . ظهر بشكل منظور كأنه يتخلى عن بعضهم ويخلص بعضهم فخلص البعض لئلا يظن احد انه

---

١) عبرا ١٢ : ٦

عاجز عن ان يخلص بل اعطاهم برهاناً على قدرته على الخلاص حتى اذا امتنع عن ذلك افترضنا وجود ارادة خفية ، لا تقصير في الله . ولكن ، حين نخلص ايها الاخوة من جميع مكايد هذه الحياة المعدة للموت وينقضي زمن التجربة ويجف نهر هذا العالم ونستعيد الحلة الاولى اي الخلود الذي خسرناه بسبب خطيئتنا ويلبس هذا الجسد المائت ما لا يموت . وبكلام آخر حين يلبس هذا اللحم ما لا يفسد وهذا المائت ما لا يموت اذ ذاك يعرف فينا كل مخلوق اننا ابناء الله كاملون ، فتبطل كل تجربة ، وينتهي كل امتحان ، ويعنو لامرنا كل شيء ، فوق هذه الارض ، لانا لله خاضعون .

٨ — عليك ايها المسيحي الاّ تتباهى لان الله سلطك على جميع الحيوانات وفضَّلك عليها . ومن الطبيعي ان تكون افضل منها. ان شئت ان تفضل الانسان الذي تراه مساوياً لك ، حسدته . عليك اذاً ان تطلب ان يكون الجميع مساوين لك ، وان فقت انساناً بالحكمة فعليك ان تتمنى له لو يماثلك . المتخلِّف لا يزال تلميذاً في مدرستك والجاهل محتاج اليك . انك تبدو معلماً وهو تلميذ ، انت الرئيس ، المعلم ؛ وهو التلميذ المرؤوس . ان لم تشأ ان يكون مساوياً لك فلانك تريد ان يظل لك تلميذاً . وان شئت ان يظل دائماً تلميذاً لك ، كنت معلماً حسوداً . وان كنت معلماً حسوداً فهل تكون معلماً؟ بحقك ، لا تعلمه الحسد. استمع الى كلام الرسول ينبع من صميم المحبة «اتمنى على الجميع لو يكونون مثلي»[1] وكيف يكون الجميع مثله ؟ كان اعلى منهم

---

١) ١ كور ٧ : ٧

ولهذا جعلته المحبة يتمنى لو يكونون مثله . يتجاوز الانسان حده ببخل زائد ان اراد ان يسمو على الناس كلهم بيد انه لا يفوق سوى الحيوانات ، وتلك هي الكبرياء .

٩ — تأملوا في ما تأتيه الكبرياء من فظائع ، وما اعظم الشبه بينها وبين اعمال المحبة . المحبة تطعم الجائع والكبرياء ايضاً ؛ انما تقوم المحبة بذلك تمجيداً لله تعالى والكبرياء تمجد ذاتها ، المحبة تكسو العريان والكبرياء ايضاً . المحبة تصوم والكبرياء ايضاً ، المحبة تدفن الموتى والكبرياء ايضاً . ان كل صلاح تقوم به المحبة تنفذه الكبرياء من جهتها بطبلٍ وزمرٍ ؛ انما المحبة داخلية ولا تترك العنان لجموح الكبرياء الارعن السيئ القيادة . والويل للانسان الذي يتخذ الكبرياء حوذياً له فانه يسير الى الهوة .

وكيف نعرف اذا كانت الاعمال الصالحة صادرة عن جموح الكبرياء؟ من الذي يدرك ذلك؟ وما هي علامته؟ اننا نرى الاعمال؛ الرحمة تطعم والكبرياء ايضاً. الرحمة تستقبل الضيوف والكبرياء ايضاً. الرحمة تدافع عن الفقير والكبرياء ايضاً . اذا لا نستطيع ان نميزهما من خلال اعمالها. أتجرّأ على ان اقول قولاً ليس مني بل من الرسول بولس ، المحبة تميت لان الانسان الذي يحب ، باسم يسوع يعترف والى الاستشهاد يذهب ، والكبرياء كذلك تذهب الى الاستشهاد . في ذاك تكمن المحبة وفي هذا كلا. فليستمع من لم تكن فيه المحبة الى كلام الرسول القائل: « لو وزعت كل مالي على الفقراء واسلمت جسدي ليحرق ولم تكن فيَّ المحبة فلا شيء ينفعني »[1] ان الكتـاب المقدس يهيب بنا الى ان نلج الى

---

١) ١ كور ١٣ : ٣

داخلنا ، بعيداً عن الصخب والاضطراب الخارجي ، بعيداً عن نظر الناس . انت عُدْ الى ضميرك واسأله لا تنظر الى زهرة في الخارج ؛ بل الى الاصل ، في قلب الارض ، انظر . أمنَ الاصل تخرج الشهوة ؟ قد تتخذ بعض الاشياء مظهر الاعمال الصالحة دون ان تكون حقيقةً اعمالاً صالحة . أمن الاصل تخرج المحبة ؟ ثق انه لا يصدر عن المحبة ادنى شر . المتكبر يلاطف والمحبة تقسو . المتكبر يكسو وهي تضرب . المتكبر يكسو ، استرضاءً للناس ؛ والمحبة تضرب ، حباً بمصلحة الذي تضربه . فمن الافضل اذاً قبول ضربات المحبة ورفض حسنات الكبرياء . عودوا الى ضمائركم ايها الاخوة وخذوا الله شاهداً عليكم في كل ما تعملون . انظروا هل يرى الروح الذي به تعملون . فان كان قلبكم لا يوبخكم لانكم لا تعملون كسباً لمجد عالمي فاطمئنوا آنذاك الى ما تعملون . لا تخافوا الناس حين تعملون الخير انما خافوا من ان تعملوا ، كسباً لمجدٍ زائف . دع الانسان يراك ليتمجد الله . اما ان اخفيت ذاتك عن البشر ولم يروك تحرم الله من مجد ولن يستطيع الناس ان يتخذوك قدوة . هاك اثنين احسنت اليهما : احدهما بحاجة الى الخبز والآخر الى العدل . انك بين جائعين : لقد قيل : «طوبى للجياع والعطاش الى البر فانهم يشبعون»[1] . انك لموجود بين هذين الجائعين لتعمل خيراً . ان عملت بدافع من المحبة اشفقت عليهما واندفعت الى اغاثتهما : احدهما يطلب خبزاً والآخر مثالاً يحتذى . قدم للاول طعاماً ، وللثاني ، ذاتك ، مثالاً ؛ فتحسن الى الاثنين معاً وتجعل ممن اشبعته ، انساناً مديناً لك بالمعروف ، ومن الآخر ، انساناً يقتدى بك بفضل المثل الصالح الذي اعطيته .

---

١) متى ٥ : ٦

١٠ — ارحموا كأناس يستشعرون شقاء الآخرين وبؤسهم لانكم اذ تحبون اعداءكم تحبون اخوة لكم. لا تظنوا ان يوحنا لم يوص بمحبة الاعداء بل عن المحبة الاخوية تكلم وحسب. انكم لتحبون اخوة وتتساءلون كيف ذلك؟ اسألك لماذا تحب عدوك؟ اجل، ولماذا تحبه؟ اتحبه سليماً معافى؟ وان لم يكن له من صحته خير؟ اتحبه غنياً؟ وان فقد النور في غناه؟ اتحبه رجلاً متزوجاً؟ وان جعل الزواج حياته مرة؟ اتحبه والداً له بنون؟ وان كانوا اشراراً؟ انها لأماني غامضة تدعي ان تصوغها لعدوك حباً به. حقاً انها لغير اكيدة. اطلب له ان يحيا معك الى الابد وان يكون اخاً لك واذا تمنيت في حبك لعدوّك لو يكون لك اخاً فانك بذلك تحب اخاً لا عدواً طال ما لا تحب فيه ما هو عليه بل ما تريده، انت، ان يصير اليه، اياه تحب.

لقد اعطيتكم ايها الاخوة الاعزاء هذا التشبيه، كما اظن: خشبةُ سنديانٍ قطعت من الغابة ولمَّا تُمسَحْ؛ رآها نجار ماهر فراقته؛ ولم ادرك غايته منها مع اني علمت انه لن يتركها على حالها. لقد رأى الفنُ الذي اتقنه ما يمكن ان تصير اليه هذه الخشبة؛ مع العلم ان محبته لا تتوقف على الخشب الخام بل تشمل ما يمكن ان يصنع من هذا الخشب الخام. وهكذا فقد احبَّ الله الخطأة. اجل لقد احبنا، نحن الخطأة، ذلك القائل: «الاصحاء لا يحتاجون الى طبيب لكن المرضى»[1] وهل احبنا الله خطأةً لنظل خطأة؟ رآنا العاملُ الماهر خشباً خاماً مقطوعاً من الغابة فلم يتوقف امام ما هو عليه الآن هذا الخشب بل ما يمكن

١) متى ٩ : ١٢

ان يصير اليه : وانك لترى عدوك يهاجمك ويثور عليك ويوجه اليك الكلام القارس بوقاحة فيعاملك بقسوة ويلاحقك بحقده فاذا بك تنتبه الى انه انسانٌ وتتأمل صنيعه القبيح ضدك وتدرك ان الله خلقه. انه لأنسانٌ مخلوق على صورة الله؛ بيد ان الحقد الذي انطوى عليه قلبه هو منه؛ والحسد الذي يغذيه ضدك هو منه ايضاً. وما رأيك بنفسه؟ «كن يا رب له رحيماً وغفوراً وضع في قلبه الخوف وغيّر حاله» انك لا تحب ما هو عليه بل ما هو مدعو اليه، واذ تحب عدواً تحب اخاً.

ولهذا فان المحبة لا تكتمل الا في محبة العدو التي تدخل في نطاق المحبة الاخوية. ولا يزعمن احد ان يوحنا لا يشدد على هذه الناحية مع العلم ان السيد المسيح يلح عليها كثيراً ويشدد، يوحنا يقول بمحبة الاخوة والسيد يدعو الى محبة الاعداء. فتش عن السبب الذي من اجله يدعوك الرب الى ان تحب اعداءك. ألكي يظلوا دوماً اعداء لك؟ ان كان هذا السبب فابغضهم ولا تحبهم. تأمل كيف احبهم. لم يشأ ان يظلوا يضطهدونه كما هو جليٌّ واضحٌ، في كلامه هذا «يا ابت اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يصنعون» طلب لهم المغفرة وشاء ان ينتقلوا من حال الى حال. ان في هذا انتقالاً من حال الاعداء الى حال الاخوة وذاك ما حققه لهم. لقد قُتل وقبر وقام وصعد الى السماء وارسل الروح القدس الى تلاميذه فراحوا بثقة يبشرون باسمه ويصنعون الآيات باسم الذي قتل وصلب. ورأى قتلة الرب هذه الاشياء. اضطهدوه فسفكوا دمه ولما آمنوا به شربوه.

١١ — طال كلامي، ايها الاخوة، عن هذه الامور. وطال

مع انه يجب ان ابيّن لكم ايها الاخوة الاحباء عظمة المحبة التي اتخذت هذا الاسلوب . ان لم تكن فيكم المحبة كان تعبنا سدى اما ان كانت فيكم صرنا كمن يسكب زيتاً على النار ولا بد ان تشعلها كلماتنا حيث لم يكن لها وجود . في هذا ينمو ما كان ؛ وفي ذاك يتكون ما لم يكن . نقول هذا لنحثّكم على محبة اعدائكم . ان قسا عليك انسانٌ صلّ لـه وان كـرِهك ارحمه وان ثار ضدك قـدِّرْ غضبه بحمّى داخلية فلا بد وان يتعافى من حمى مرضـه ويشكرك . وكيف يحب الاطباء مرضاهم ؟ وهل يحبونهم كمرضى ؟ ان احبوهم مرضى ارادوا لهم البقاء في مرضهم بيد انهم يحبونهم لا لكي يظلوا مرضى بل لكي يتعافوا من مرضهم . كم يتألمون من ذوي الامراض العصبية وكم يتعرضون احياناً من قبلهم الى مسبات وضرب . يعالج الطبيب الحمى ويسامح الانسان . وماذا اقول ايها الاخوة الاحبـاء ؟ هل يحب عدوه ؟ عدوه الوحيد المرض فلهذا يكرهه ويحب الرجل الذي منه يتلقى الضرب . انه يكره الحمى . من ذا الذي يضربه ؟ المرض ، الوجع ، الحمى . الطبيب يقضي على ما يناوئه ليبقي على من يعترف بجميله وفضله . اذهب انت واصنع كذلك . وان ابغضك عدوك طمعاً فاعلم ان فيه شهوة عالمية مسيطرة عليه تدفعه الى البغض والكراهية . وان ابغضته انت ايضاً قابلت الشر بالشر . وماذا يفيد الانسان من مقابلة الشر بالشر ؟ في الماضي بكيت مريضاً واحداً مصاباً بمرض البغض اما الآن فاني ابكي عليك ان رحت تبغضه بدورك . بيد انك تقول انه يضمر شراً لثروتك ويسلبك رزقك ، لا ادري . ولهذا ابغضته بعد ان ضايقك في العالم . لا تبق على هذه الارض بل اذهب الى الاعالي ، الى السماء حيث يجد قلبك منفرجاً له ومكاناً رحباً . وعلى

رجاء الحياة الابدية لن تشعر بضيق . تأمل بما يحرمك منه : « ما اخذ لك شيئاً لو لم يسمح بـــه ذاك الذي يمتحن الابن الذي يرضاه » . عدوك شبيه بالحديد يستعمله الله لشفائك حتى ان رأى الله مفيداً لك ان ينزع منك خيراتك نزعها وان رأى، ان ضربك مفيد، ضربك . ان الله يستعمل هذا الاسلوب ليشفيك ويتمنى لك العافية .

١٢ — لم يرَ اللهَ احدٌ . تأملوا ايها الاعزاء « اننا ان احببنا بعضنا بعضاً اقام الله فينا وكملت فينا محبته» باشرْ، ان تحب، تصبحْ، كاملاً ، ومتى باشرتَ المحبة بدأ الله يسكن فيك . أحبَّ من بدأ يسكن فيك لتصبح كاملاً بسكناه الكاملة فيك . « بهذا نعرف انا فيه وانه فينا وهو انه افاض من روحه فينا » الشكر لله . انـــا نعرف انه فينا . وكيف نعرف ذلك ؟ من كلام يوحنا « انه افاض روحه فينا » وكيف نعرف انه افاض روحه فينا ؟ بهذا وهو انه اعطاك من روحه . وان اردت ان تعرف فاسأل قلبك حتى اذا وجدته عامراً بالمحبة تبيَّن لك ان فيك روح الله . ومن اين لنا ان نعرف ان هذا هو الدليل على سكنى الله فيك ؟ من كلام بولس الرسول القائل : « لان محبة الله قد افيضت في قلوبنا بروح القدس الذي اعطيناه » .

١٣ — ونحن رأينا وشهدنا ان الآب ارسل ابنه لخلاص العالم. اطمئنوا ايها المرضى . اتيأسون وقد جاءكم هذا الطبيب ؟ كانت الشرور كثيرة والجراح مستعصية والمرض متفاقماً . اتنظر الى فداحة ألمك ولا تنظر الى مقدرة الطبيب ؟ انت قد دب اليأس فيك ولكنه طبيب ماهر . وبمقدرته يشهد الاولون الذين شفوا وعرَّفونا به . انهم

قد شفوا بالرجـــاء اكثر منه بالواقع لان الرسول قال: « بالرجاء خلصنا »١ وبالايمان يبدأ شقاؤنا ؛ لكن خلاصنا يكتمل حين يلبس هذا الجسد الفاسد ما لا يفسد وهذا الجسد المائت ما لا يموت. انه الرجاء وليس واقعاً ؛ لكن الانسان الذي يفرح بالرجاء يستولي على الحقيقة اذ لا يستطيع ان يصل الى الحقيقة من ليس له رجاء.

١٤ — « كل من يعترف ان يسوع هو ابن الله فالله فيه وهو في الله» فلنشرح بايجاز لفظة «من يعترف» لا بالكلام بل بالفعل، لا بالقول بل بالعـــمل لان كثيرين يعترفون قولاً وينكرون فعلاً « ونحن قد عرفنا محبة الله لنا فآمنا به » وكيف عرفت ذلك؟ « الله محبة » ذاك ما قاله يوحنا ويقوله من جديد. لا نقدر ان نوصيكم بالمحبة اكثر من قولنا لكم « الله محبة » ولربما احتقرت عطية الله. وهل تحتقر الله؟ الله محبة ومن ثبت في المحبة ثبت في الله والله فيه. انه يثبت احدهما في الآخر الحاوي والمحتوي. انت تثبت في الله ليسعك الله والله يثبت فيك ليسعك كذلك، خشية ان تعثر. لا تعتقد انك اصبحت بيتاً لله كما ان بيتك يحتوي جسدك. ان تركت البيت الذي فيه تقيم عثرت اما ان ابتعدت عن الله فالله لا يعثر. لكنه يظل كاملاً حين تبتعد عنه وكاملاً حين تقيم فيه. انك تتعافى ولا يفيد الله من عافيتك. انك تتطهر انت المخلوق من جديد وتتهذب. انه علاج للمريض وقاعدة سلوك للمعوج ونور لمن يسير في الظلام ومأوى للشريد. كل ما في الامر من إنعامات تفيد منها انت ولا تظن بأنك تفيد الله شيئاً ان جئت اليه حتى

---

١) رومية ٨: ٢٤

ولو ملّكته على ذاتك . ايحتاج الله الى خدام لو رفضت ورفض كذلك الكثيرون ان يخدموه ؟ لا حاجة له الى خدام . انما له كل خادم ولهذا قال صاحب المزامير : « قلت لربي انت الهي »[١] انه ربنا الحقيقي . وماذا قال ايضاً « لانك لا تحتاج الى خيراتي تحتاج الى خدمات عبدك » . عبدك هو الذي يحتاج اليك لتقدم له طعامه ، وانت ايضاً تحتاج الى عبدك ليساعدك ، انك لا تستطيع مثلاً ان تستقي الماء وتطبخ وتركض وراء حصانك وتسوس فرسك. بهذا تحتاج الى خدمات عبدك. انت لست سيداً حقيقياً لانك تحتاج الى من هو دونك . اما هو فانه السيد الحقيقي الذي لا يسألنا خدمة والويل لنا ان لم نبحث عنه . لا يسألنا خدمة ولكنه بحث عنا يوم لم نكن نسأل عنه . ضلّت نعجة واحدة ولما وجدها فرح بها وحملها على كتفيه . فهل كانت النعجة ضرورية للراعي ام الراعي للنعجة ؟

بقدر ما اشعر بفرح في التحدث عن المحبة بقدر ذلك اتمنى لو تطول هذه الرسالة. اني لم اجد رسالة اشد منها حماساً في التكلم عن المحبة . رسالة لا اعذب منها على السمع ولا اطيب للشرب شرط ان تثبّتوا فيكم ، بحياتكم الصالحة ، عطية الله . اياكم ان تنكروا ذاك الذي كان له ولد وحيد فلم يشأ ان يظل وحيداً ، ورغبة منه في ان يجعل له اخوة تبنى اولاداً ليشاركوه في الحياة الابدية .

---

١) مزمور ١٥ : ٢

المقالة التاسعة | ثمن المحبة

١ – تذكرون ، ايها الاحباء ، انه بقي علينا ان نشرح القسم الاخير من رسالة يوحنا بقدر ما تسمح لنا به نعمة الرب. اننا لنذكر هذا الدين علينا ، وانتم ، عليكم ان تطالبوا به ، ان المحبة موضوع رسالتنا وغايتها الوحيدة ، تجعلنا اوفى المدينين وتجعلكم الطف الدائنين. لقد قلت الطف الدائنين لانه حيث لا محبة فالدائن قاس ، ولكن حيث المحبة فالدائن لطيف ؛ والمدين ، وان كان منزعجاً بالمطالبة ، فلا بد وان يجد في المحبة تخفيفاً لهذا الازعاج الذي يتلاشى تحت تأثيرها. اننا لنجد صغار الحيوانات البُكْم تطالب بشدةٍ اماتها بحليب ضروعها. والامات لا تهتم لصغارها التي تنطح ضروعها وهي ترضعها شرط ان ترضعها بمحبة. قد نجد عجولاً صغيرة قوية الى حد انها تنطح برؤوسها ضروع اماتها فيرتفع جسم الام لشدة الضربة ومع ذلك فلا ترفسها اماتها. واذا لم تكن صغارها موجودة لترضع ، دعتها اماتها ، بخوارها ، لتعطيها

الحليب . وعليه فان كانت بينكم هذه المحبة الروحية التي يقول عنها الرسول ، « صغيراً صرت بينكم وكالمربية تحتضن بنيها »[١] . احببناكم حين تطالبون بالحاح لاننا لا نحب الكسالى ونخاف الفاترين.

ان الرجوع الضروري الى بعض القراآت السنوية الخاصة بايام الاعياد قد اضطرنا الى التوقف عن شرح الرسالة التي نحن بصددها ؛ لكننا نتابع اليوم شرحها آملين منكم ان تصغوا بانتباه الى ما بقي علينا ان نقوله. واني لا اعرف مديحاً للمحبة افضل من هذا وهو « الله محبة » انه لمديح موجز وعظيم ، موجز لفظاً وعظيم معنى ، وما اوجز ما قيل « الله محبة » . ان احصيتَ الالفاظ قيلت دفعة واحدة وان قست المعنى فما اعمقه « الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه »[٢] فليكن الله مسكناً لك ولتكن انت مسكناً لله . اسكن في الله وليسكن الله فيك. ان الله يحويك اما انت ففي الله كيلا تسقط. وفي المحبة عينها يقول الرسول: «المحبة لا تسقط ابداً »[٣] فكيف يسقط من يحويه الله ؟ .

المحبة تطرد الخوف

٢ — كمال المحبة ان نكون مطمئنين يوم الدينونة . لانه كما هو ، كذلك نحن في هذا العالم. يقول لنا يوحنا كيف ان كلامنا يبرهن لذاته عن التقدم الذي احرزته المحبة فينا او بالاحرى عن تقدمه في المحبة لانه ان كان الله محبة ، وان لم يكن في الله تقدمٌ وتأخرٌ، فلا يجوز ان يقال ان المحبة تنمو فيك؛ لانك تنمو فيها انت

---

١) تسالونيكي ٢ : ٧

٢) ١ يو ٤ : ١٦

٣) ١ كور ١٣ : ٨

وتتقدم. سَلْ نفسك عن مدى تقدمك في المحبة وأَصغِ الى جواب قلبك تعرف مقياس تقدمك.

وعدنا يوحنا بان يبين لنا كيف نعرف الله فقال: «كمال المحبة في ان نكون مطمئنين يوم الدينونة» من كان، يوم الدينونة، مطمئناً، كانت المحبة فيه كاملة. وما معنى الاطمئنان يوم الدينونة؟ ان لا يخشى المرء يوم الدينونة. هنالك اناس لا يؤمنون بيوم الدينونة فكيف يطمئنون الى يوم لا يعتقدون بانه آت. فلندع اناساً كهؤلاء ولنسأل الله ان يوقظهم الى الحياة. انهم اموات ولا فائدة من التحدث عنهم. وانهم لا يؤمنون بمجيء يوم الدينونة فلا يخافون ممّا لا يؤمنون به ولا يرجونه. ولكن، هوذا انسان بدأ يؤمن بيوم الدينونة فلانه لا يثق به ولان كمال المحبة ينقصه. الهذا يجب ان نيأس؟ لماذا لا ترجو النهاية في من هو البداية؟ واي بداية؟ الخوف عينه، اسمع الكتاب «بدء الحكمة مخافة الرب»[1] ويبدأ يخاف اول ما يخاف، يوم الدينونة. فليصلح نفسه تحت تأثير الخوف وليحذر اعداءه، وبتعبير آخر فليحذر خطاياه وليبدأ بتجديد حياته الباطنية واماتة اعضائه الارضية، عملاً بقول الرسول، «أميتوا اعضاءكم الارضية»[2]. يسمي الرغبات الاثيمة اعضاء ارضية فيشرحها، فيما بعد، بقوله، انها البخل والدعارة والرذائل الاخرى. وعليه، فبقدر ما يميت فيه الاعضاء الارضية، كل من بدأ يخاف يوم الدينونة، بقدر ذلك تنمو فيه وتتقوى الاعضاء السماوية اي الاعمال الصالحة، وبقدر ما تنمو الاعضاء السماوية بقدر ذلك

---

١) الحكمة – سيراخ – ١ : ١٦

٢) كولوسي ٣ : ٥

يبدأ يرغب في ما كان يخافه . كان يخـــاف من ان يجيء السيد المسيح ويجده خاطئاً معداً للشجب ؛ اما الان فانه يتوق الى مجيئه ليجد صديقاً معداً للمجد . ما ان تبدأ النفس التقية تتوق الى مجيء المسيح وترغب في قبلات الختن حتى تتخلى عن الحب الزاني وفي باطنها تصبح عذراء ، بالايمان والرجاء والمحبة ؛ وتروح تثق بيوم الدينونة ؛ وينتهي كل خلاف لها مع ذاتها حين تصلي قائلة : «ليأتِ ملكوتك» من خاف من ان يأتي ملكوت الله خاف من ان يستجاب . وما معنى صلاة تخاف من ان تستجاب ؟ بيد ان الذي يصلي بثقة المحبة ، يتمنى لو يأتي هذا الملكوت بشوق اهاب بصاحب المزامير الى القول : « وانت يا رب حتى متى ؟ » عد يا رب وخلص نفسي »[1] واسف لهذا التأخير . هنالك اناس يموتون بصبر وآخرون ، وهم الكاملون ، يعيشون بصبر .

وماذا قال ؟ من لا يزال يحب الحياة الدنيـــا يتحمل الموت صابراً حين يأتيه ؛ انه يجاهد ضد نفسه ارضاء ويسعى بجرأة ليختار ارادة الله لا ارادته البشرية ؛ ولهذا ينشب عراك بينه وبين الموت ناتج عن حبه للحياة الدنيا ؛ ولذلك يلزمه الصبر ورباطة الجأش لمجابهة الموت . ويموت بصبر . بيدَ ان من يتوق ، كما قال الرسول : « الى ان ينحلَّ ويصير مع المسيح » لا يموت بصبر بل يعيش بصبر ويموت مغتبطاً . تأمل الرسول كيف يعيش بصبر وبدلاً من ان يحب الحياة الدنيا يتحملها بصبر . « ان انحل واصير مع المسيح افضل لي بكثير ؛ انما خير لكم ان ابقى معكم بالجسد » اجتهدوا ايها الاخوة واعملوا ، في باطنكم ، على ان تتوقوا الى يوم الدينونة

---

١) مزمور ٦ : ٤-٥

اذ ليس من دليل على كمال المحبة فيكم الا في التوق الى ذلك اليوم . ويشتهي ذلك اليوم كل من كان اليه مطمئناً ؛ ويطمئن الى ذلك اليوم كل من اطمأن ضميره الى كمال محبته واخلاصها.

٣ – وتكون محبة الله كاملة فينا اذا كانت لنا ثقة يومَ الدين . ولِمَ الثقة ؟ ثقة بأن نكون كما هو في هذا العالم. لقد علمت الآن سبب ثقتك اي ان نكون في هذا العالم كما هو. اليس في الوعد شيء مستحيل؟ وهل يستطيع الانسان ان يكون كما هو الله ؟

لقد شرحت لكم ان لفظة « كما هو » لا تعني مساواة بل شَبَهاً فتقول مثلاً : « لي اذنان كما لهذه الصورة » وهل هذا هو تماماً كذلك؟ كلا. ومع ذلك فانك تقول كما هو. ان كنا قد خلقنا على صورة الله فلم لا نكون كما هو الله ؟ لا ان نتساوى واياه بل ان نكون شبيهين به نسبياً. ومن اين لنا الثقة يوم الدين ؟« من حيث انا في هذا العالم كما هو » علينا ان نرد هذه الالفاظ الى المحبة عينها وان ندرك معناها. قال السيد في الانجيل : « ان احببتم من يحبكم فاي فضل لكم اليس العشارون هكذا يصنعون ؟» وماذا يريد منا؟ اما انا فاقول لكم احبوا اعداءَكم وصلوا لاجل من يضطهدكم. حين يأمرنا بان نحب اعداءنا فما هو المثال الذي يعطيناه؟ يقدم الله لنا مثالاً فيقول ، لتكونوا ابناء ابيكم الذي في السماوات ، وكيف ذلك؟ يحب الله اعداءه فيشرق شمسه على الاشرار والاخيار ويسكب غيثه على الابرار والفجار . ان كان الله يدعونا الى هذا الكمال في المحبة فنحب اعداءنا كما احب هو اعداءه فهذا مما يجعلنا نثق في يوم الدين لانه كما هو في هذا العالم هكذا

نحن ايضاً . وكما هو يحب اعداءه فيشرق شمسه على الاخيار والاشرار ويسكب غيثه على الابرار والفجار كذلك نحن ايضاً الذين ليس لنا ان نعطي اعداءنا لا شمساً ولا مطرًا بل ان نعطيهم دموعنا حينما نصلي لاجلهم.

واسمعوا الآن يوحنا يحدثنا عن هذه الثقة ، وكيف نعرف المحبة الكاملة ؟ « لا مخافة في المحبة » وما القول في من يبدأ يخاف يوم الدين ؟ لو كانت المحبة كاملة فيه لما خاف ، لان المحبة الكاملة تكمّل البر وتنفي المخافة . فضلاً عن ان شيئاً يهيب به الى ان يتمنى لو يبطل الظلم ويأتي ملكوت الله . اذًا لا مخافة في المحبة . ولكن ، في اية محبة ؟ لا في المحبة التي تبدأ : اذًا ، في ايها ؟ انه يقول ان المحبة الكاملة تنفي المخافة . فليبدأ الخوف طال ما ان « رأس الحكمة مخافة الله » والخوف يعد مكاناً للمحبة وحين تبدأ المحبة تسكن في القلب تطرد الخوف الذي اعدّ لها مكاناً وكلما نمت هي كلما تضاءل الخوف ؛ وبقدر ما تصبح باطنية بقدر ذلك يُنْفى الخوف الى الخارج . متى عظمت المحبة تضاءل الخوف ومتى تضاءلت المحبة عظم الخوف ، ولولا الخوف لما وجدت المحبة سبيلاً للدخول . وكما ان الابرة تدخل الخيط في الثوب فتدخل ثم تخرج ليدخل الخيط كذلك يستولي الخوف على النفس اولاً وما ان يبقى فيها لانه لم يدخل الا ليفتح باباً للمحبة . واذا حل السلام في النفس تتمتع كلياً بالفرح في هذه الدنيا وفي الاخرى . واذا غمرتنا المحبة فهل من احد يستطيع ان يوذينا ، تأملوا باية غبطة يتحدث الرسول عن المحبة ، من ذا يفصلنا عن محبة المسيح؟ اضيق؟ ام حزن؟ ام اضطهاد؟ ام جوع؟ ام عرى؟ ام خطر؟ ام سيف؟

ويقول بطرس ، ومن يستطيع ان يؤذيكم ان كنتم الى الخير تتوقون ؟ .

لا خوف في المحبة ، المحبة الكاملة تنفي الخوف خارجاً لان عاقبة الخوف عذاب . الضمير الذي يدرك خطاياه يعذب القلب قبل ان يتم التبرير لان فيه شيئاً يتأكله ويخزه . وما تقول المزامير في كمـال البر ؟ « انك حولت ندبي الى رقص ونزعت مسْحي ونطـّقتني بالسرور لكي يشيد لك مجدي ولا يسقط » وما معنى ذلك ؟ ان انجو من وخز ضميري . الخوف يخز ولكن لا تخف لان المحبة تدخل وتشفي جرح الخوف . ان خوف الله يجرح كمبضع الطبيب ويقضي على الجرح الملتهب وكأنه يوسع الجرح . يوم كان الجرح الملتهب في الجسم كان اصغر ممَّا هو بعد معالجته انما اشد خطرًا . قرّب الطبيب حديده من الجرح فازداد الماً تحت المبضع . ان الجرح مهمل . الذي يعنى به يزداد الماً عن جرح مهمل بيد انه وان كان العلاج يزيد الالم فلكي يستأصله ويشفى الجرح . فليملك الخوف على قلبك ولتدخل المحبة اليه فيبرأ الجرح حين يمر عليه حديد الطبيب . ذاك الطبيب الحقيقي هو هذا الذي لا يبقي اثرًا للجرح في الجسم . استسلم الى الطبيب لانك لا تبرأ الا اذا اضفت ، وفقاً لما جاء في الكتاب المقدس « من لم يكن فيه المخافة لا شفاء له » . علينا ان نبدأ فندخل الخوف الى قلوبنا لتدخل الينا المحبة . المخافة علاج ، والمحبة صحة تامة ، انما من يخاف لا يكمل في المحبة . لماذا ؟ لان عاقبة الخوف عذاب وعاقبة مبضع الطبيب عذاب ايضاً .

٥ — هناك نص آخر يبدو مناقضاً للفحص السابق هذا ان لم تحسن فهمه . « خشية الرب طاهرة ثابتة الى الابد » ان صاحب

المزامير يحدثنا هنا عن خوف طاهر وثابت الى الابد . وحين يتكلم عن خوف ثابت الى الابد الا يناقض الرسالة القائلة . « لا خوف في المحبة انما المحبة الكاملة تنفي الخوف » فلنسأل هاتين الكلمتين اللتين للرب لان الروح واحد وان كان هناك كتابان وفمان ولسانان. احداهما وصلتنا بواسطة يوحنا والاخرى بواسطة داوود وبرغم ذلك فلا يجوز ان نعتقد بوجود اكثر من روح . ان كان الهواء الواحد يملأ قسطلين أفلا يستطيع الروح الواحد ان يملأ قلـبين ويحرك لسانين ؟ ان كان الروح عينه او بالأحرى ان كان الهواء نفسه يملأ مزمارين فيخرج منهما نغماً متجانساً فكيف بصورتين ممتلئتين من روح الله لا تتجانسان ؟ على المرء ان يتبين التجانس والتآلف القائم بينهما . الهَمَ روحَ الله قلبين وفمين وملأهما ثم حرك لسانين فسمعنا من هذا « لا مخافة في المحبة الكاملة تنفي الخوف » ومن ذاك « خشية الرب طاهرة ثابتة الى الابد » ما هذا ؟ اليس في الامر من تناقض ؟ كلا ، افتح اذنيك واسمع النغم ، ان كلمة طاهرة قد اضيفت هنا لغاية . لانه شيء هو الخوف الطاهر وآخر هو الخوف غير الطاهر . فلنميز بين هذين الخوفين ولندرك كيف تتجانس فيما بينهما . وكيف ذلك ؟ اصغوا ايها الاحباء . انـاس يخشون الله خوفاً من جهنم ونارها الابدية .

ان خوفاً كهذا يفتح الباب امام المحبة لتدخل ، وما ان يدخل في النفس حتى يخرج منها بسرعة . وان كان الخوف من العقاب يهيب بك الى ان تخشى الله فانت لا تحب من تخاف على هذا النحو بل تخشى الشر ، وانما لمجرد خوفك الشر تصلح نفسك وتبدأ تحب الخير . منذ ان يبدأ حبك للخير يقوم فيك الخوف الطاهر.

وما الخوف الطاهر ؟ الخوف من خسارة الخيرات ذاتها . افهموا جيداً . شيء هو خوف الله ، خشية ان يرسلك الى جهنم مع ابليس ، وآخر هو خوفه خشية ان يتخلى عنك . الخوف الذي يجعلك تخشى السقوط في جهنم مع الشيطان ليس طاهراً لانه لا ينبثق من محبة الله بل خوفاً من العقاب . وبالعكس فحين تخشى الله مخافة ان يتخلى عنك فانك تعانقه وتتمنى لو تستمتع به .

٦ – ليس شرحٌ افضلَ للفارق بين خوفٍ تنفيه المحبة وخوف ثابت الى الابد من مقارنتهما بامرأتين متزوجتين احداهما تريد الزنى واللذة الاثيمة وتخشى ان يتهمها به زوجها ، هي تخشى زوجها لانها تحب الشر وتستثقل حضوره ولا يروقها وجوده حتى اذا ما سلكت عاطلاً خشيت من مفاجأته : تلك هي حال من يخافون من يوم الدين . اما الاخرى فأنها تحب زوجها وتحتفظ له دون سواه بقبلاتها الطاهرة ولا تتلطخ البتة بوصمة زنى وتتمنى لو يحضر زوجها دائماً . فكيف تميز بين هذين الخوفين ؟ هذه تخشى وتلك ايضاً . سلهما فتجيبانك بصوت واحد . سل هذه ان كانت تخاف زوجها فتجيبك نعم ، ثم سل تلك فتجيبك ايضاً بنعم . الجواب واحد بيد ان القلب مختلف . ولو سألتهما السبب لاجابتك الاولى ، اخشى ان يجيء زوجي وتجيبك الثانية اخشى ان يذهب زوجي . الاولى تقول اخشى ان يوبخني زوجي والثانية اخشى ان يتركني . ضع هذه العواطف عينها في قلب المسيحيين تعرف الخوف الذي تنفيه المحبة والخوف الطاهر الثابت الى الابد .

٧ – فلنتحدث في بدء الامر الى من يخافون الله على مثال تلك المرأة التي تجد في الاثم لذتها ، لكنها تخشى ان يتهمها به

زوجها . الى هؤلاء نوجه حديثنا في بداية الامر فنقول ايتها النفس التي تحبين الله خوفاً من ان يتهمك ؛ انك لتشبهين المرأة التي تجد في الاثم لذتها وتخشى ان يتهمها زوجها وكما ان هذه المرأة لا تروقك هكذا يجب ان لا ترضى عينك . ان كان لك زوجة واردت ان تخشاك خوفاً من ان تشجبها دعها تتمتع في الاثم على ان تجد في الخوف الثقيل الذي توحي به اليها رادعاً لها ، لا في كراهية الشر . وان اردتها طاهرة ومحبة لك لا تخشاك فاظهر امام الله كما تريد ان تكون زوجتك . واذا لم تكن متزوجاً وتريد ان تتزوج فانك تتمنى لو كانت لك امرأة على مثالها ، وماذا اقول ايها الاخوة ؟ ان الزوجة التي تخشى ان يلومها زوجها قد لا تأتي منكرًا لئلا يبلغ الخبر الى زوجها وينزع منها هذا النور الارضي . وقد يخطأ زوجها لانه بشر وقد تغشه هي . انها تخشاه في حين انها تستطيع ان تهرب منه واما انت أفلا تخشى نظر عروسك المحدق دائماً اليك ؟ « عين الرب على الاشرار » هي تترقب غياب زوجها لتسعى الى الزنى ثم تقول في نفسها ، كلا ، لن ازني ، صحيح انه غائب ولكن من الصعب ان لا يصله الخبر من هنا او من هناك فتُمسكُ نفسها خشية ان يصل الخبر الى مسامع زوجها الذي قد يهمل كل شيء وينخدع ويعتبر صالحة المرأة الشريرة وطاهرة المرأة الفاسقة . اما انت أفلا تخشى نظر ذاك الذي لا يستطيع احد ان يغشه ؟ الا تخشى حضور من لا تستطيع ان تحيد عن نظره ؟ اطلب من الله ان ينظر اليك ويميل بوجهه عن خطاياك . « امل بوجهك عن خطاياي » وهل تستحق ان يميل بوجهه عن خطاياك وانت لا تميل بوجهك عنها ؟ بهذا المعنى يقول صاحب المزامير « لاني عارف

باثمي وخطيئتي امامي في كل حين » اعرف خطاياك وهو يغفر لك .

الى النفس التي لا يثبت خوفهـا الى الابد بل تنفيه المحبة الى الخارج وجَّهنا كلامنا . فعلينا الان ان نتوجه بحديثنا الى من كان خوفها طاهراً يثبت الى الابد . اتجدها فنتحدث اليها ؟ أهي في الشعب ام في الغرفة ام فوق الارض ؟ اكيد انها موجودة انما محتجبة . الشتاء حاضر انما الاخضرار في الباطن وفي الاصول . وقد تصل كلماتنا الى مسامعها . ولكن ، انى كانت تلك النفس ، ليتني اجدها فاصغي لاقوالها بدل ان تصغي الى كلماتي . تعلمني ولا تتعلم مني شيئاً . انها لنفس قديسة ، نفس نارية ، تتمنى لو يملك الله . انا لا احدثها بل الله يحدثها فيعزيها على احتمال حياتها بصبر على هذه الارض . انت تريدين ان اجيء وانا عرفت ذلك ، عرفتك من انت وعرفت باية ثقة تنتظرين مجيئي وعرفت انزعاجك ، لكن انتظري واصبري . ها اني اجيء وعن قريب اجيء . ويشعر بالتأخّر وحده ، من كان محباً . استمع اليها تنشد كالزنبقة بين الاشواك ، واستمع اليها تتنهد قائلـة ، اريد ان انشد واريد ان اعرف ، طريق الصلاح ، موعد مجيئك الي . ولكن ، لا مجال للخوف على طريق الصلاح لان المحبة الكاملة تنفي المخافة . وحين تقبل الى معانقة الختن تخاف خوفاً هادئاً ، ومم تخاف ؟ تخاف من اثمها وتتحفظ تجاهه خوفاً من السقوط ثانية ؛ لا لانها تخشى النار ؛ بل لانها تخشى ان يتخلى الله عنها . وما فيها ؟ خوف طاهر يثبت الى الابد » .

سمّعنا مزمارين متجانسي النغم . احدهما يحدثنا عن الخوف

والثاني عن الخوف الذي يخشى ان يتخلى الله عنه . النوع الأول تنفيه المحبة والنوع الثاني يثبت الى الابد .

٩ – علينا ان نحب لانه احبنا اولاً ، وكيف لا نحب من سبق فاحبنا . بالمحبة صرنا اصدقاءه في حين انه احب اعداءه ليجعلنا اصدقاءه. احبنا ومنحنا القوة كي نحبه. ما احببناه؛ ومنذ صرنا نحبه صرنا على قسط من الجمال . وماذا يصنع رجل قبيح الوجه ، سفيه ، لو احبَّ امرأة جميلة ؟ وما تصنع امرأة قبيحة الوجه ، سوداء لو احبت فتىً جميلاً ؟ اتصبح بفضل حبها جميلة؟ ام يصبح جميلاً لفرط حبه ؟ انه يحب امرأة جميلة وحين ينظر الى وجهه في المرآة لا يجروء ان يرفع عينيه الى امرأته الجميلة. وما العمل كي يصبح جميلاً ؟ اينتظر وصول الجمال ؟ بالعكس . ان انتظر فاجأته الشيخوخة فازداد قبحاً اذ ذاك لن يعود له امل بان يحب امرأة جميلة؛ وافضل نصيحة تسدى اليه هي ان يمتنع لفرط قبحه، عن حبها . اما ان ثابر على محبته لها واراد ان يتخذها زوجة له فعليه ان يحب طهارتها لا جمال وجهها . وبالتالي كانت نفسنا ايها الاخوة ، قبيحة المنظر من جراء الخطيئة ، ولما احبت الله صارت جميلة . فما هو هذا الحب الذي يجمّل النفس المُحبَّة ؟ جمال الله دائم لا يتغير ولا يعتريه ذبول. انه احبنا بهذا الجمال الدائم. وكيف كنا آنذاك ؟ كان وجهنا قبيحاً مشوهاً ، ومع ذلك فما احبنا لنبقى على قبحنا بل ليغيرنا فجعل من وجهنا المشوه القبيح وجه انسان جميل . وكيف نصير كذلك ؟ نصير كذلك ان احببنا هذا الدائم الجمال ، ويزداد جمالك بقدر ما ينمو فيك حبه ويزداد لان المحبة جمال النفس .

علينا ان نحب طال ما انه سبق فاحبنا . اصغ الى الرسول بولس يقول: « بهذا اظهر الله محبته لنا وهو اذ كنا لا نزال خطأة مات المسيح لاجلنا »[1] الصدّيق يموت عن الخطأة والجميل يموت عمن كانوا قبيحي المنظر ، وكيف الوصول الى يسوع ؟ انه يفوق ابناء البشر جمالاً . « ونعمتي افيضت على شفتيك . » ولماذا ؟ انظر كيف اتاه الجمال « انه يفوق ابناء البشر جمالاً لان الكلمة في البدء كان وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله » ولكنه حين صار بشراً اخذ ما فيك من قبح وصار يموت مثلك ليصير شبيهاً بك ويتكيف معك ويحرضك على ان تحب الجمال الباطني . واين نقرأ ان يسوع مشوه الوجه قبيح المنظر كما نقرأ انه يفوق جمالاً ابناء البشر . اين نجد انه مشوه الوجه ؟ سل اشعيا النبي « ورأيناه ولم يكن له منظر ولا بهاء »[2] مزماران لا يأتلفان نغماً مع ان روحاً واحداً ينفخ فيهما . من جهة يقول احدهما انه يفوق جمالاً ابناء البشر ومن جهة اخرى سمعنا اشعيا يقول: « رأيناه فلم يكن له منظر ولا بهاء » روح واحد ينفخ فيهما ولا تنافر بينهما . لا تصم اذنك وافتح عقلك . فلنسأل بولس الرسول انه يشرح لنا التآلف بينهما فيقول « يفوق جمالاً ابناء البشر » ثم « ان يكن في صورة الله فلم يعتبر مساواته لله اختلاساً ، بهذا يفوق جمالاً ابناء البشر ، ويقول النغم الآخر « رأيناه ولا منظر له ولا بهاء » لكنه اخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً في شبه البشر وموجوداً كبشر في الهيئة » لم يكن له شكل ولا كان له بهاء ، ليعطيك شكلاً وبهاء واي شكل وبهاء اعطاك ؟ اعطاك محبة المحبة حتى تعدو محباً وتحب عادياً .

---

١) رومية ٥ : ٨-٩

٢) اشعيا ٥٣ : ٢

حزت هذا الجمال ولكن اياك ان تنظر الى ذاتك لئلا تخسر ما قبلت . انظر الى من ينبع منه جمالك . كن جميلاً فيحبك . واسعَ اليه وحده واسرع اليه . ابحث عن معانقاته وخف ان تبتعد عنه ليكون فيك ذاك الخوف الطاهر الثابت الى الابد « اما نحن فعلينا ان نحب لانه سبق فاحبنا » .

١٠ ــ من قال « اني احب الله ... اي اله » ؟ لانه احبنا ، واعطانا ان نحبه . لقد احب كفرةً ليصيّرهم اتقياء واحب ظالمين ليصيّرهم صدّيقين واحبَّ مرضى ليصيّرهم اصحاء. علينا نحن ايضاً ان نحب لانه احبنا . سل ايّاً كان عما اذا كان يحب الله فيعلن لك قائلاً : « اني احبه وهو يعرف ذلك » . هناك اسلوب آخر للسؤال وهو ان قال احد انه يحب الله ويكره اخاه فهو كذاب وهذا قول يوحنا. وكيف تثبت انه كذاب؟ اصغ ، «من لا يحب اخاه الذي يراه فكيف يحب الله الذي لا يراه ؟ » اذاً من يحب اخاه يحب الله ايضاً ، يحب الله حتماً ويحب المحبة حتماً . ايستطيع ان يحب اخاه والاّ يحب المحبة ؟ انه يحب المحبة حتماً . ولكن ان احب المحبة فهل يحب الله ؟ اجل بكل تأكيد . ان احب المحبة احب الله . احبب اخاك وكن مطمئناً لانك لا تستطيع ان تقول اني احب اخي ولا احب الله . كما وانك تكذب ان تقل اني احب الله حين لا تحب اخاك . وتخطأ ان تقل احب اخي وفي ضميرك لا تحب . يا من تحب اخاك انك تحب المحبة عينها حتماً لان «الله محبة » ويتحتم على من يحب اخاه ان يحب الله ولكن ان كنت لا تحب اخاك الذي تراه فكيف تحب الله الذي لا تراه ؟ ولمَ لا يرى الانسان الله ؟ لانه خال من المحبة . انه لا يرى الله لانه خال من

المحبة وليست المحبة فيه لانه لا يحب اخاه؛ ولهذا لا يرى الله لان ليست فيه المحبة. لو كانت فيه لرأى الله « الله محبة ». ان عيننا الباطنية التي تتنقّى، شيئاً فشيئاً، بالمحبة، تتمكن من رؤية الذات الجوهر، اللامتغير، الذي يصير الانسان بحضوره سعيداً الى الابد حين يتمتع به مع الملائكة. عليه ان يُسرع الان ليسرَّ يوماً في الوطن. حذار من ان يحب السفر والطريق بل فليكن كل شيء مرًا لديه، ما عدا، ذلك الذي يدعوه، حتى اليوم الذي فيه نتعلق به فنردد كلام المزمور « لقد خسرت جميع من زنوا بعيداً عنك »[1] ومن هم اولئك الزناة؟ ويردف صاحب المزامير قائلاً، اما انا فاتكالي على الله خيري، كل خيري ان اتعلق بالله مجاناً لانك ان سألته: ولِمَ تتعلق بالله؟ يجيبك، لكي يعطيني، وماذا يعطيك؟ لقد صنع السماوات والارض، ومـــاذا يعطيك؟ لقد تعلقت به. اجتهد اكثر لكي يعطيك الافضل.

١١ — « ومن لا يحب اخاه الذي يراه كيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يراه » تلك هي الوصية التي سلمناها، من يحب الله يحب اخاه ايضاً. كيف تقول بكل تأكيد اني احب الله في حين انك لا تحب اخاك؟ ايها المجرم كيف تستطيع ان تحب الله؟ الم تسمع ما جاء في الرســالــة ان من لا يحب اخاه مجرم هو. وتقول، بكل تأكيد احب الله مع اني ابغض اخي، كلا. انك بكل تأكيد لا تحب الله ان كنت لا تحب اخاك. اليك البرهان من شهادة يوحنا « وصية جديدة اعطانا ان نحب بعضنا بعضاً » وكيف تستطيع ان تحب من لا تحب وصيتــه؟ ومن ذا يقول

---

١) مزمور ٧٢: ٢٧-٢٨

اني احب السلطان ولا احب شرائعه ؟ يعرف السلطان ان كان الناس يحبونه من حفاظهم على شرائعه في اقاليم سلطنته . وما هي شرائع سلطاننا ؟ « وصية جديدة اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً » ان احببت المسيح فاحفظ وصيته واحبب اخاك . اما ان كنت لا تحب اخاك فهل يعقل ان تحب من لا تحب وصيته ؟ .

ايها الاخوة ، اني لا اتعب من التحدث اليكم عن المحبة باسم المسيح . وانتم كلما تتمسكون بهذا الخير كلما تنمو فيكم المحبة وتنفي الخوف فيبقى الخوف الطاهر الذي يثبت الى الابد. فلنتحمل العالم وعذاباته ولنتحمل شك التجارب ولا نحد عن الطريق . فلنتمسك بالكنيسة الواحدة وبالمسيح والمحبة ؛ ولا ندع احداً يفصلنا عن اعضاء عروسه وعن الايمان ؛ لكي نتمجد بحضوره ، فنثبت فيه مطمئنين ، اليوم ، بما فينا من ايمان ؛ وبعدئذ بالمشاهدة وجهاً لوجه ، ولنا من موهبة الروح عربون عظيم .

المقالة العاشِرة | الايمان والمحبّة الأخويّة

١ — تذكرون، على ما اظن، يا من كنتم بالامس حاضرين هنا، انّا وصلنا في شرح هذه الرسالة الى حيث يوحنا يقول: «من لا يحب اخاه الذي يراه فكيف يحب الله الذي لا يراه»؟ وعن الله تعالى اخذنا هذه الوصية «من يحب الله يحب اخاه ايضاً» فتوقفنا عندها. علينا الان ان نتم الباقي.

«كل من يؤمن بان يسوع هو المسيح، من الله مولود» ومن ذا الذي لا يؤمن بان يسوع هو المسيح؟ من لا يحيا بموجب تعاليم المسيح. اظن ان كثيرين يقولون ان لا خلاص بالايمان من دون الاعمال؛ مع العلم ان ثمرة الايمان، المحبة، وفقاً لقول بولس الرسول «يعمل الايمان بالمحبة»[١] ان اعمالك الماضية السابقة لايمانك اما باطلة واما صالحة ولا قيمة لها: ان كانت باطلة كنت كانسان ليس له رجلان او كمَن اقعده الشلل عن السير. وان كانت

---

١) غلاطية ٥: ٦

تبدو صالحة فقبل ايمانك كنت تركض ، وفي عدوك هذا خارجاً عن الطريق كنت تضل ولا تدنو من الهدف . على الطريق الصالح يجب علينا ان نعدو . عبثاً يركض الانسان خارجاً عن الطريق ، فضلاً عن انه يركض الى تعب . وكلما ازداد ركضاً ، خارجاً عن الطريق ، ازداد ضلالاً . ما هو الطريق الذي يجب ان نركض عليه ؟ قال السيد المسيح : « انا الطريق »[1] وما هو الوطن الذي نركض اليه ؟ قال السيد المسيح : « انا الحق » . عليه تركض واليه تركض وفيه تجد الراحة . ولكن حتى نستطيع ان نركض عليه فقد امتد الينا لاننَّا كنّا بعيداً عنه ؛ وبعيداً عنه كنا نسير . ان قلنا اننا ، بعيداً عنه ، نسير ، فلم نوفّ الواقع حقه . أحر بنا ان نقول . كنا عاجزين عن الحركة لفقدان القوة . وها ان الطبيب قد اتي وامتد الطريق الى المسافرين . فليخلصنا ولنمش .

ذاك هو الايمان بان يسوع هو المسيح وذاك هو ايمان المسيحيين الذين لا يكتفون من الايمان بالاسم بل يشمل ايمانهم اعمالهم وحياتهم بخلاف الشياطين الذين لا يعرفون هذا الايمان . الشياطين يؤمنون هم ايضاً ويرتعدون . وهل يستطيع الشياطين ان يؤمنوا باكثر من ان يقولوا : « نعرفك من انت يا ابن الله » ان ما قاله الشيطان قاله بطرس عندما سأل المسيح من هو وماذا يقول عنه الناس اجاب الرسل قائلين : « قوم يقولون يوحنا المعمدان وآخرون ارميا او احد الانبياء » فيجيبهم بقوله : « وانتم من تقولون اني هو ؟ » اذ ذاك يقول بطرس : « انت المسيح ابن الله الحي » وسمع الرب يقول : « طوبى لك يا سمعان بن يونا لانه لا لحم ولا دم اظهر لك ذلك لكن ابي

---

١) يوحنا ١٤ : ٦

الذي في السماوات »[1] وتأملوا ايضاً في ذلك المديح الذي قاله لايمان بطرس : « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي » وما معنى « وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي » ؟ معناه على ايمانك وقولك « انت المسيح ابن الله الحي » «على هذه الصفـــاة سأبني كنيستي » يا له من ثناء عظيم . بطرس قال : « انت المسيح ابن الله الحي » والشياطين قالت : « نعرفك من انت يا قدوس الله » قال بطرس ما قالت الشياطين بالالفاظ عينها ، انما بروح مختلف . وانى لنا ان نعرف ان قول بطرس هذا صادر عن محبة . في المسيحي ، ثمرة الايمان ، المحبة ؛ اما في الشيطان فايمان بلا محبة . وما معنى بلا محبة ؟ تكلم بطرس هكذا ليتقرب من السيد المسيح اما الشياطين فلكي يبتعدوا عن السيد لانهم قبل ان يقولوا : « نعرفك من انت يا الله » قالوا ما لنا ولك ؟ اجئت الى هنا كي تهلكنا ؟ الايمـــان بالمسيح في سبيل التعلق بالسيد المسيح شيء ، والايمان بـــه في سبيل إبعاده شيء آخر . ترون الآن ان يوحنا حين يقول : « من يؤمن » يعني ايماناً معيناً لا الايمان الذي يشترك فيه كثيرون . ولا يقولن لكم واحد من اهل البدع ، انا نؤمن . قدمت لكم مثل الشياطين لئلا تكتفوا بكلام من يقولون انّا نؤمن ؛ بل ان تحكموا عليهم من خلال حياتهم .

٢ — وماذا يعني الايمان بالمسيح ؟ بأن يسوع هو المسيح . يوحنا يقول : « كل من يؤمن بان يسوع هو المسيح مولود من الله » وما معنى هذا الايمان ؟ « وكل من احب الوالد احب الذي ولد منه » فيربط المحبة بالايمان ؛ لان الايمان بلا محبة باطل . الايمان

---

١) متى ١٦ : ١٣-١٨

مع المحبة ، ايمان مسيحي ، وبدونها فالايمان ايمان شيطاني. ومن لم يكن مؤمناً فهو شر من شيطان وأحط . اني لا اعرف انساناً يرفض ان يؤمن بالمسيح ، ولا يحذو حذو الشيطان؛ انه ليؤمن بالمسيح ولكنه يكرهه ويؤمن خوفاً من العقاب لا حباً بالاكاليل . الشياطين كذلك يخافون العقاب . واذا اضفت الى المحبة الايمان اصبح ذاك الايمان الذي تكلم عنه بولس الرسول « ايماناً بعمل المحبة » . لقد وجدت المسيحي ووجدت مواطنك في اورشليم وجليس الملائكة والمسافر الذي يتنهد طوال الطريق. انضم اليه، انه رفيقك واركض معه ان كنت على ما هو فيه حقاً « كل من يحب الوالد يحب حقاً ابنه » مَن الوالد ؟ الاب . ومن المولود؟ الابن . وماذا يقول؟ « كل من يحب الآب يحب الابن ايضاً » .

٣ ـــ « بهذا نعرف انا نحب ابناء الله ايها الاخوة » ما هذا ايها الاخوة ؟ منذ هنيهة تكلم عن ابن الله ولم يتكلم عن ابناء الله . وحين قال: « كل من يؤمن بـــان يسوع هو المسيح ، مولود من الله » كان يقدم ابن الله موضوعاً لتأملنا . وكل من يحب والده اي الآب يحب ابنه اي سيدنا يسوع المسيح ثم يقول بهذا نعرف انـّا نحب ابناء الله بيد انا كنا ننتظر ان يقول: بهذا يعرف انـّا نحب ابن الله . قال ابناء الله « من كان منذ هنيهة يقول « ابن الله » لان ابناء الله يؤلفون جسد ابن الله الوحيد وكـــما انه هو الرأس ونحن الاعضاء فلله ابن وحيد فقط . وبالتالي من احب ابناء الله احب ابن الله ومن احب ابن الله احب الآب ولا احد يحب الآب الا اذا احب الابن ومن يحب الابن يحب ابناء الله ايضاً .

ومن هم ابناء الله ؟ اعضاء ابن الله ، من يحب يصبح عضواً

لابن الله وينضم بالمحبة الى جسد المسيح الواحد ؛ ولن يبقى الا مسيح واحد يحب ذاته ؛ لانه عندما يتبادل الاعضاء الحب يحب الجسد ذاته « اذا تألم عضو تألم معه سائر الاعضاء واذا اكرم عضو فرح معه سائر الاعضاء ». ثم يقول بولس ايضاً: « انتم جسد المسيح واعضاؤه » وتكلم يوحنا عن المحبة فقال: « من لا يحب اخاه الذي يراه فكيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يراه ؟ » ولكن ايمكنك ان تحب اخاك حباً حقيقياً دون ان تحب المسيح ؟ اولا يصح ذلك بشأن اعضاء المسيح ؟ وعليه فحين تحب اعضاء المسيح ، تحب المسيح عينه؛ وحين تحب المسيح تحب ابن الله؛ وحين تحب ابن الله تحب الآب كذلك . المحبة لا ترتضي تقسيماً ، انك لا تستطيع ان تختار انساناً فتحبه دون الآخرين . اتقول ، اني لا احب سوى الله الآب ؟ انت كذاب لانك ان تحب الله فلست تحبه وحده بل تحب الآب والابن معاً — انك تقول احب الآب والابن وحدهما ، انك تحب الله الآب وتحب الله الابن سيدنا يسوع المسيح ، الذي صعد الى السماء وجلس من عن يمين الآب. الكلمة الذي به كون كل شيء وصار بشراً وحل بيننا . اني احبه وحده — كذاب انت ، لانك ان كنت تحب الرأس فلست تحب ، وان كنت تحب الاعضاء ؛ وان كنت لا تحب الاعضاء فلست تحب الرأس . الا ترتعد حين تسمع الرأس يهتف من علياء سمائه حباً باعضائه قائلاً: « شاول ، شاول لمَ تضطهدني »؟[1] سمّى مضطهداً له ذاك الذي كان يضطهد اعضاءه، ومحباً له، ذاك الذي كان يحبهم . لقد عرفتم ايها الاخوة الاحباء من هم اخوته، اخوته كنيسة المسيح عينها .

---

1) اعمال الرسل ٩ : ٤

بهذا نعرف انّا نحب ابنـــاء الله ان كنا نحب الله . وكيف ذلك ؟ أليس ابناء الله متميزين عن الله ؟ لكن الذي يحب الله يحب وصاياه . وما هي وصاياه ؟ « وصية جديدة اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً »[1] . لا يعتذرنَّ احدٌ متذرّعاً بمحبة اخرى . وما اشد تماسك هذه المحبة مع نفسها ، وكما انها واحدة في ذاتها فانها تؤلف مع كل ما يتعلق بها كلا واحـدًا وكالنار تجمع فيما بينهم . تأملوا ذهباً ، معدناً غالي الثمن ، ان لم تذربه المحبة بحرارتها فلا ينصهر في وحدة تامة « وبما انّا نحب الله نعرف انّا نحب ابناء الله » .

٤ – وكيف نعرف انا نحب ابناء الله ؟ بهذا وهو انّا نحب الله ونحفظ وصاياه . هنا ينقطع نَفَسُنا امام صعوبة العمل بموجب وصايا الله . اسمع التتمة ، ولِمَ تُضْني نفسك ايهـا الانسان في حبك ؟ لانك تحب البخل ؟ ومن الصعب جداً ان يُحب ما انت تحب ، اما الله فيحب بسهولـة . يفرض عليك البخل متاعب واخطارًا وعذابات وتجارب قاسية ، ومع ذلك فانك تطيعه . ولِمَ ؟ لتحصل على مـا يملأ صندوقك ، تفقد راحتك . يوم لم يكن لديك شيء كنت اكثر طمأنينة من يومٍ بدأت تملك فيه شيئاً . تلك هي ثمرة البخل ، ملأت بيتك فخفت اللصوص وملكت الذهب ففقدت النوم . واليك ثمرة البخل ، اعمل هذا فتعمله . وبم يوصيك الله ، احبني . انك تحب الذهب وتبحث عنه وقد لا تجده ، من طلبني وجدني . انك تسعى في سبيل المجد وقد لا تصل اليه . ومن ذا الذي يحبني ولا يصل الي ؟ يقول لك الله انك تبحث عن محام

١) يوحنا ١٣ : ٣٤

او عن صديق قدير وتتودد اليه عن طريق رجل آخر ادنى رتبةً منه فاجبني الآن ، لا حاجة لوسيط بيننا ، بيني وبينك . بالمحبة احضر اليك ، وهل احلى من تلك المحبة ايها الاخوة ؟ لغاية قال لي صاحب المزامير منـــذ هنيهة « حدثني خطأةٌ عن ملذاتهم انما ليس كشريعتك ايها الرب »[1] وما شريعة الله ؟ وصيته . وما وصيته؟ بحق تسمى الوصية الجديدة جديدةً ، لانها تجدّد الانسان . « وصيةً جديدة اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً » تلك هي شريعة الله . يقول الرسول : « فليحمل بعضكم اثقال بعض وهكذا تكمّلون شريعة المسيح »[2] « بالمحبة تكمل اعمالنا ، والمحبة هي غايتنا ، اليها نسعى وفي اثرها نعدو ومتى بلغناها وجدنا فيها راحتنا » .

٥ — المحبة الاخوية هي كمال الشريعة

لقد سمعتم كلام المزمور القائل : « لكل كمال رأيت امدًا »[3] « مز ٩٦/١١٨ » . قال صاحب المزامير : « لكل كمال رأيت امدًا » وماذا رأى ؟ وهل نعتقد بانه تسلّق قمة جبل عال واجال نظره في الافق وتأمل في سطح الكرة الارضية وفي ارجاء العالم ثم قال ، «لكل كمال رأيت امدًا»؟ ان كان هذا هو المنظر الذي يمتدحه فلنسأل الله بصرًا ثاقباً ولنبحث عن اعلى جبل في العالم لنرى من فوقه « امد كل كمال » . لا تبتعد كثيراً بل تسلق هذا الجبل وانظر الى الامد . الجبل هو المسيح ، هلم الى المسيح وانظر فيه امد كل كمال . وما هو هذا الكمال ؟ سل بولس فانه ينبئك ان « كمال

---

١) مزمور ١١٨ : ٨٥
٢) غلاطية ٦ : ٢
٣) مزمور ١١٨ : ٩٦

الوصية المحبة بقلبٍ نقيٍ وضميرٍ صالحٍ وايمانٍ ثابت» ثم ان بولس يقول في محل آخر «كمال الشريعة المحبة» وهل اكملُ من الكمال المتقن؟ حقاً ايها الاخوة ان لفظة كمال توئخذ هنا بمعناها الصحيح ولا تظنوا انها تعني النهاية في الشيء بل كماله. ان انت قلت: اكملتُ رغيف الخبز: عنيت شيئاً، وان انتَ قلتَ: اكملتُ الثوب: عنيت شيئاً آخر. أكمّل رغيفَ الخبز حين آكله واكمل الثوب حين اخيطه، وفي كلا الحالين استعمل كلمة اكمل انما يكمل الخبز حين يؤكل اي يقضى عليه؛ ويكمل الثوب حين يصبح جاهزًا، اهلاً، لان يُلبس. بهذا المعنى الاخير يجب ان نفهم لفظة اكمل كما سمعتموها في المزمور. وغالباً ما تسمعون هذا في المزامير فعليكم ان تفهموا ما تسمعون. وما هو الكمال او الغاية؟ كمال شريعة المسيح تبرير كل موءمن. «وما معنى المسيح الكمال؟» المسيح هو الله وكمال الشريعة المحبة والله محبة والآب والابن والروح القدس واحد. هذا هو الكمال بالنسبة اليكم وما هو دون ذلك فهو طريق وواسطة، فلا تتعلق بالطريقة لئلا تخسر الكمال وانى وصلت في هذا الطريق فلا تتوقف قبل الكمال. وما هو الكمال؟ كمالي هو ان اتّحد بالله. ان كنتَ تتّحد بالله فقد اكملت شوطـك وسكنتَ في الوطن.

أصغوا الي جيداً، قد يسعى انسان في اثر المال، اما انت فلا تتخذ المال غايةً بل كمّل طريقك كمسافر وابحث اين تمر؛ لا، اين تقيم؛ لانك ان احببتَ المال صرتَ عبداً للبخل، وصار البخل قيداً لرجليك؛ ولا تستطيع ان تتعداه. تخلّصْ من ذاك الحاجز واسع في اثر الكمال. في بحثك عن الصحة الجسدية لا

تتوقف عندها . وما قيمة الصحة الجسدية والموت يقضي عليها والمرض يضنيها ؟ صحة الجسد سريعة العطب ، فانية ، متقلبة . ابحث عنها لئلا تمنعك صحة ضعيفة من عمل الخير .

انها ليست غاية بل وسيلة . وكل ما نطلبه في سبيل آخر ، وسيلة هو لا غاية . اما الذي نسعى اليه في سبيل ذاته ، مجاناً ، فهو الغاية . انك تطلب المجد ، تحقيقاً لعمل ، او تتميماً لغاية او ارضاء لله . اياك ان تحب المجد ، من اجل المجد ، لئلا تكتفي به ، انك تطلب الثناء ، ان طلبته في سبيل الله فحسناً تصنع واما ان طلبته في سبيل ذاته فشراً تصنع وعلى الطريق تظل . ان مدحك الناس واثنوا عليك فلا تفرح بمديح ينتهي اليك بل بالذي تناله في سبيل الرب لكي تنشد « تعظم نفسي الرب »[1] ان القيت خطبة ناجحة واثنى الناس عليك بسببها فلا تعتبره موجهاً اليك ان لم تكن فيه غايتك ، لانك ان وضعت فيه غايتك كانت فيه نهايتك لا تلك التي تكملك بل التي تقضي عليك . لا تقبل الثناء كأن الخطيئة منك او لك بل كما يقول المزمور : « احمد الله على كلامه واياه احمد على كلامي »[2] اذ ذاك يتحقق فيك ما وعد به المزمور « على الله توكلت فلا اخاف وماذا يصنع بي البشر »[3] وحين تمدح اعمالك كلها في الله فلا خوف على مجدك من ان يضيع لان الله ثابت ، فتجاوز هذا المديح عينه ولا تتوقف عليه .

٦ — تأملوا ايها الاخوة في الخيرات التي تجاوزناها لان غايتنا ليست فيها ؛ انما نستعملها في سفرنا مجددين بها قوانا كما يحدث

---

١) مزمور ٣٣ : ٣

٢) مزمور ٥٥ : ٥

٣) مزمور ٥٥ : ١١

في محطات السفر؛ ثم نتابع طريقنا. اين هي غايتنا؟ ايها الاحباء نحن ابناء الله؛ وحتى الان لم يتضح ما سوف نصير اليه. ذاك ما جاء في الرسالة التي نحن بصددها وانا لا نزال على سفر وانـــّـى وصلنا منه فيجب علينا ان نكمل سيرنا لنبلغ غاية معينة. «انا نعلم انه حين يتجلى امامنا نصبح شبيهين به ونشاهده كما هو» تلك هي غايتنا، ذاك هو نشيدنا الدائم وترنيمتنا الابدية التي لا تنقضي.

وبالتالي فهذه هي الغاية التي تكلم عنها المزمور حين قال: «لكل كمال رأيت امداً» وكاني بانسان يسأله عن الامد الذي رآه فيجيب: «اما وصيتك فلا حدّ لرحبها»[1] ذاك هو امد الوصية ورحبها. رحب الوصية المحبة لانه حيث المحبة فلا ضيق. وفي رحب الوصية كان يقيم الرسول حين قال: «ان فمنا مفتوحٌ اليكم ايهـــا الكورنثيون وقلبنا متسع ولستم متضايقين فينا»[2] ولذاك فوصيتك رحبة جداً. وما هي الوصية الرحبة؟ «وصية جديدة اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً» لا ضيق في المحبة. ان شئت ان تحيا على الرحب في هذه الارض فاسكن محلاً فسيحاً ومهما يصنع بك الانسان فلا يمكنه ان يضيق عليك لانك تحب ما لا يستطيع ان يعمل شيئاً ضده. انك تحب الله واخوتك وتحب شريعة الله وكنيسته الازلية. انك على الارض تكدّ، لكنك سوف تصل الى المكافأة التي وعدك بها. ومن الذي يستطيع ان ينزع منك ما تحب؟ ان لم يكن احد يستطيع ان ينزع ما تحب فَنَمْ مطمئناً. انك تسهر

---

١) مزمور ١١٨: ٩٦

٢) ٢ كور ٦: ١١-١٢

مطمئناً وتنام مطمئناً فلا يضيع منك ما تحب ، خلال نومك . وبحق قال صاحب المزامير : « انر عيني لئلا ارقد يوماً في ظلال الموت »[١] ان الذين يغلقون عيونهم عن المحبة يرقدون في حمأة الشهوات اللحمية . إنهضْ اذاً . ان مـــا ذكر من الشهوات هو كالاكل والشرب واللذة الجسدية واللعب والصيد . كلها اباطيل خداعة ، واصل الشرور . انجهل انها ملذات ؟ ومن ذا ينكر جمالها المغري؟ بيد اننا نؤثر عليها شريعة الله . اهتف عالياً بوجه الملذات المغرية ، قال لي الخطأة ملذاتهم ولكن ليس كشريعتك يا رب. لان غبطتها لا تبقى حين تأتي اليها وحسب بل انها تدعوك حين تهرب منها .

٧ – محبة الله تقوم بحفظ وصاياه . لقد ادركتم ذلك وهو ان الناموس والانبياء في هاتين الوصيتين . كيف لم يوزع الرب انتباهكم على جميع صفحات الكتاب المقدس فاكتفي بالقول لكم « هاتان الوصيتان هما الناموس والانبياء ؟ »[٢] وما هما ؟« ان تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل عقلك وتحب قريبك كنفسك » هاتان الوصيتان هما الناموس والانبياء . وهاتان الوصيتان هما موضوع رسالتنا . ارعَ المحبة تعشْ بسلام . ولمَ تخافُ من ان تسيء الى احد؟ ومن يقدر ان يسيء الى من يحب؟ احب ، اذ ذاك لن تستطيع ان تعمل سوى الخير .

ولكن ان وبختَ انساناً فعن محبة له لا عن قسوة توبخه. وان ضربته فتأديباً له تضرب لان المحبة لا تسمح لك بان تتركـــه في فوضاه، وقد تجد احياناً ان النتائج مخالفة للعلل فيمالق الحقد وتضايق

---

١) مزمور ١٢ : ٤

٢) متى ٢٢ : ٣٧–٤٠

المحبة كأن يكره رجل عدوه ويتظاهر نحوه بالصداقة حتى ان رآه يأتي سوءا اثنى عليه ؛ ورغبة في هلاكه يتمنى لو يسلك بلا نور سبل الشهوة الوعرة التي لن يعود منها. انه يمدحه «اذ المنافق يفتخر بشهوات نفسه »[1] ويغمره بنعومة وتملق. انه يكرهه برغم انه يمدحه. رجل آخر رأى صديقه يأتي سوءا فحذره حتى اذا لم يسمع لـه وبخه ولامه وقاضاه في المحاكم. وذاك امر ضروري لان البغض يطري في المديح والمحبة تقاضي. لا تتوقف على كلام من يغالي في مديحك ولا على قساوة مَظْهر من يوبخك، انظر الى الينبوع وابحث عن الاصول التي عنها ينبثق ذلك الموقف؛ هذا يمدح مرائياً وذاك يقاضي مصلحاً.

لستم بحاجة ايها الاخوة الى توسيع قلوبكم بل اسألوا الله ان تحبوا بعضكم بعضاً، احبوا جميع الناس حتى اعداءكم؛ لا لانهم اخوة لكم بل ليصيروا اخوة لكم فتتأججون حباً اخوياً تجاه من هو بالحقيقة اخٌ لكم، او تجاه عدو لكم، لتجعلوا منه، بفضل محبتكم له، اخاً. كلما تحب اخاً تحب صديقاً يقيم منذ الآن معك، ومذ الآن يتحد بك في وحدة تشمل جميع الناس. ان عشت صالحاً فالمحبة التي فيك تصيّر عدوك اخاً لك، وان احببت انساناً غير مؤمن بالمسيح فايمانه به ايمان شيطاني ولذا توبخه على ضلالـه الباطل. عليك ان تحبه حباً اخوياً مع انه لم يصر لك اخاً، وبرغم ذلك احبه لتصيّره لك اخاً. وبالتالي فان محبتنا الاخوية تتجه نحو جميع المسيحيين اعضاء المسيح.

---

١) مزمور ٩: ٣

ان قاعدة المحبة ، ايها الاخوة ، وقوتها وازهارها وثمارها وشرابها وطعامها وقبلاتها لا تعرف شبعاً. وان كان لها هذا الجمال الوافر، علينا اثناء سفرنا ، على هذه الارض ، فكم تكون غبطتنا بها في وطننا ؟ .

٨ – الكنيسة جسد المسيح

فلنسرع اذاً ايها الاخوة ولنحب المسيح. واي مسيح هو؟ يسوع المسيح. ومن هو؟ كلمة الله. وكيف جاء الى المرضى؟ صار الكلمة بشراً وحل بيننا وتمت فيه نبوءة الكتاب ، كان على المسيح ان يتألم « ويقوم في اليوم الثالث من بين الاموات » اين هو جسده ؟ واين يعمل اعضاوءه؟ اين يجب ان تكون لتعمل تحت سلطة الرأس؟ يجب ان تدعى جميع الامم الى التوبة والى مغفرة الخطايا باسمه ابتداء من اورشليم. المسيح هو القائل والمزمور ايضاً قال ذلك والمزمور هو روح الله « الوصية رحبة جداً » ومن ذا الذي يحد المحبة بافريقيا؟ لا ادري. ابسط محبتك على العالم كله ان شئت ان تحب المسيح لان اعضاء المسيح منتشرون في العالم باسره لانك ان احببت منَ المسيح جزءًا ، انقسمت ؛ وان انقسمت فلست من الجسم وان لم تكن في الجسم فلست تحت سلطة الراس.

وماذا ينفع ايمانك ان كنت تجدف؟ انك تكرم راسه وتجدف على جسمه وهو يحب جسمه ؛ ان انفصلت عن جسمه فــلا يمكن ان ينزع الرأس عن الجسم. الرأس يصرخ فيك من اعالي السماء باطلاً تكرمني. وذلك كمثل رجل يريد ان يقبل راســك فيدوس رجليك. وهل يسحق قدميك بحذاء مسمَّر اذا شاء ان يقبل رأسك؟ وانت الا تضع حداً لهذه المظاهر من التودد والاحترام

بقولك ؟ وماذا تعمل ايها الشقي ؟ انك لتسحقني . انت لا تقول له ، تسحق رأسي طال ما انه يكرم الرأس بيد ان الرأس يدافع عن الاعضاء التي تسحق بقوة ولو كان هو موضوع تكريم . اليس الرأس هو الذي يصرخ ، اني ارفض تكريمك ؟ توقف عن سحقي . قُل ان امكنك ، كيف اسحقك ؟ قل للرأس ، اريد ان اقبلك واعانقك . ولكن الا ترى يا احمق ان الذي تريد ان تقبله باسم التضامن الذي يجعل من الجسد وحدة كاملة هو حاضر في من تريد ان تسحقه ؟ تكرمني في اعلى رأسي وتسحقني في قدميّ . الم المسحوق اوفر من غبطة المكرم؛ لان هذا ، وان كرمته ، يتألم لاعضائه التي تسحقها ؟ يقول اللسان ، انك تؤلمني . ولا يقول انك تؤلم رجلي بل يقول تؤلمني . ومن ذا الذي مسّك ايها اللسان وضربك ؟ ومن ذا الذي وخزك وثقبك ؟ ويجيب اللسان ، لا احد . انما اؤلف مع اعضائي المسحوقة وحدة لا تتجزأ ، وكيف تريد مني الا اتألم وانا متحد بها اتحاداً وثيقاً ؟ .

٩ — ولهذا فان سيدنا يسوع المسيح حين صعد الى السماء اربعين يوماً بعد قيامته اوصانا بجسمه الباقي هنا على الارض لانه رأى كثيرين مستعدين لتكريمه بعد صعوده الى السماء كما راى بطلان التكريم يوجه للرأس دون الاعضاء فيكرمون الرأس الذي في السماء ويسحقون الارجل على الارض ، تكلم عن اعضائه . وقبيل صعوده قال كلماته الاخيرة التي كانت آخر ما قاله على هـــذه الارض . قبيل صعوده اوصانا باعضائه الباقية ثم تركنا وذهب ، ولن تسمعه يكلمك من على الارض بل من السماء . وتكلم من علياء سمائه لان اعضاءه كانت مضطهدة على الارض . ومن فوق

قال لشاوول المضطهد: « شاوول شاوول لم تضطهدني ؟ » في السماء انا ، انما لا ازال اجوع واعطش في سفري . وكيف اوصانا بجسده قبيل صعوده الى السماء ؟ حين اجاب تلاميذه على سؤال طرحه عليه تلاميذه قائلين: « ومتى تعيد الملك الى اسرائيل ؟ » قال: « ليس لكم ان تعرفوا الوقت الذي عينه الآب بملء ارادته لكنكم سوف تنالون قوة الروح القدس الذي يحل عليكم وتكونون لي شهوداً »[1]. تأملوا في كيف يبسط جسمه وفي ما لا يريد ان تدوسه الارجل « ستكونون لي شهوداً في اورشليم واليهودية والسامرة وحتى اقاصي الارض » . صعدت الى السماء وهنالك ابقى ، اما جسدي فيبقى هنا على الارض. اين ؟ على الارض كلها . حذار من ان تضربه وتغتصبه وتدوسه برجليك. ذاك آخر ما قاله السيد المسيح قبيل صعوده الى السماء.

تأملوا رجلاً ملقى على سريره، مهملاً في بيته، الألم ينهشه؛ ومن الموت اصبح على قاب قوسين. نفسه يفارقه وروحه اصبحت على طرف شفتيه ، تأملوه يستعيد في ذاكرته امرًا هاماً عزيزًا عليه فيطلب ورثته ويقول لهم ، ارجوكم ان تعملوا بموجب ما اقول لكم. ويصارع الموت لئلا يقضي عليه وقبل ان يفضي بارادته لمن حوله ثم يلفظ انفاسه الاخيرة وينقل جسده الى القبر . وكيف يحفظ الورثة كلماته الاخيرة؟ لو جاءهم من يقول : لا تعملوا بموجبها. الا يجيبونه : انا نُتمّ ارادة ابينا الاخيرة وهو على فراش الموت؛ انا ننفذ وصيته الاخيرة التي سمعناها منه قبل ان يغادر هذه الارض . وهل يمكننا ان نخالف وصيته الاخيرة؟ فيها لنا فائدة اكثر من اي

---

١) اعمال ١ : ٦-٨

شيء آخر حيث للمرة الاخيرة رأيناه وللمرة الاخيرة سمعناه .

تأملوا بهذا ايها الاخوة في ضميركم الحي . ان كانت كلمات المحتضر السائر الى القبر عذبة وعزيزة بهذا المقدار على قلوب ورثته فاحر بوصية المسيح الاخيرة قبيل صعوده الى السماء . الانسان يعيش ويموت وتنقل نفسه الى مكان ما ويدفن جسمه في القبر ولا يضيره أنفذَت وصيتُه ام لا . لقد اصبح يعمل شيئاً ويتحمل شيئاً آخر . قد يغتبط في احضان ابراهيم وقد يتوق في النار الى نقطة ماء . جثته في قبر لا شعور لها ووصيته الاخيرة باقية . وماذا يرجو اولئك الذين لا يحفظون ارادة الجالس في السماء ناظراً اليهم ساخرين منها او غير ساخرين ، القائل : شاول شاول لمَ تضطهدني؟ المحتفظ ليوم الدينونة بكل ما يُسَام به اعضاؤه من عذاب واضطهاد؟

١٠ — ويقولون : ماذا عملنا ؟ لقد اضطُهدنا ، ولم نضطهد ؟ لقد اضطهدتم ايها التعساء لانكم قسمتم الكنيسة ، اللسان سيفٌ امضى من الحديد .

تكبَّرت هاجرُ خادمة سارة فعاقبتها معلمتها ، وكان عقابها اصلاحاً لا انتقاماً . وحين ابتعدت عن سيدتها قال لها الملاك : « عودي الى سيدتك » سفر التكون ١٦ : ٤ — ٩ . ايتها النفس اللحمية ان تألمت في سبيل الاصلاح كما تألمت الخادمة المتكبرة ، فلمَ تتذمرين ؟ عودي الى معلمتك واحفظي سلام الرب الذي يقدمه لك الانجيل فنطالع فيه حيث الكنيسة منتشرة . اذ ذاك يعترضون علينا ويتهموننا بالخيانة (الخونة سلموا الكتب المقدسة اثناء الاضطهادات) ونحن ماذا خنّا ؟ اوصانا المسيح بكنيسته وانت تأبى ان تؤمن بكلامه . وهل اصدّقك تقول سوءًا عن اقاربي ؟ او

تريد ان اصدقك بشأن الخونة؟ آمن انت اولاً بالمسيح . وبعد؟ المسيح هو الله ، وانت انسان . فاياً كان منكما نصدق؟ بسط المسيح كنيسته في العالم وانا اقول؟ « لا تكترث للامر » الانجيل يتكلم وانا اقول « تحداه » وماذا يقول الانجيل؟ « كان على المسيح ان يتألم وان يقوم في اليوم الثالث من بين الاموات وان يبشر باسمه للتوبة ومغفرة الخطايا؟ » في الكنيسة مغفرة الخطايا . وما الكنيسة؟ لقد قيل لها حقاً « ساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات مهما تحله على الارض يكن محلولاً في السماوات ومهما تربطه على الارض يكن مربوطاً في السماوات »[١] . واين تمتد مغفرة الخطايا؟ « الى كل الامم ابتداء من اورشليم »[٢] . اذاً آمن بالمسيح . انك تعرف انك ان امنت بالمسيح لا تعود تتكلم عن الذين خانوا الكتب المقدسة . وانك تريد مني ان اصدق كلامك الذي تنم به عن اقاربي اكثر مما تصدق انت تعاليم السيد المسيح .

---

١) متى ١٦ : ١٠

٢) لوقا ٢٤ : ٤٧

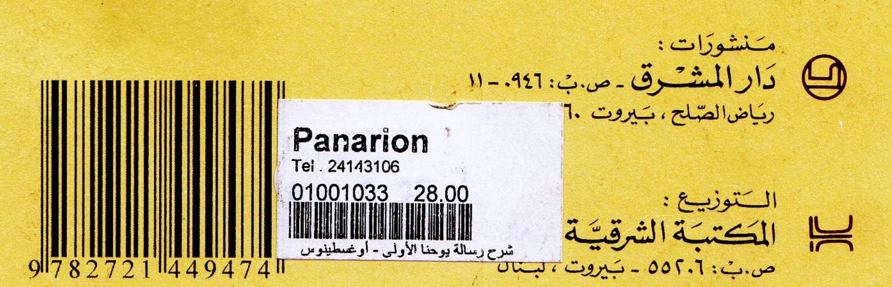
فهرس الكتاب

أنجزت مطبعة ليزار

طباعة هذا الكتاب

في الثلاثين من نيسان ٢٠٠١

٧٥٦-١-٣٠/٤/٢٠٠١



منشورات :
دار المشرق - ص.ب: ٩٤٦. - ١١
رياض الصلح ، بيروت ٦٠

التوزيع :
المكتبة الشرقية
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت ، لبنان